وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مصطفى اسطمبولي – معسكر

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

الحامل البيداغوجي في مقياس:

"المجتمع العثماني ومكوناته"

المستوى: السنة الأولى ماستر

التخصص: تاريخ الدولة العثمانية

إعداد الأستاذ : شيخ لعرج

السنة الجامعية :2018 – 2019م

مقدمة:

عاشت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون ، وفتحت أقاليم واسعة في جنوبي شرق أوربا ووسطها ، وكانت أساس الوجود الاسلامي في القارة الاوربية، كما امتدت فتوحاتها الى آسيا وافريقيا، وأصبحت بذلك دولة أسيوية – افريقية –أوربية، وكانت جيوشها أكثر الجيوش تعدادا، وأحسنها تدريبا وأعظمها تسليحا و أكملها تنظيما، مما سمح لها بتحقيق هذا الامتداد الجغرافي الكبير والذي انعكس على مكونات المجتمع العثماني الذي نحن بصدد دراسته.

لقد عرفت الدولة العثمانية بعدة أسماء على امتداد تاريخها الطويل وهي :

الدولة العلية في العصور الأولى لظهورها.

السلطنة السنية في مرحلتها الثانية من امتدادها الجغرافي في آسيا.

الإمبراطورية العثمانية، بعد اتساع ممتلكاتها في أوربا، آسيا وافريقيا، كما عرفت أيضا باسم الدولة العثمانية.

كان العثمانيون يميلون أكثر الى الاسمين الأخيرين، لاحتوائهما على لقب " عثماني"حيث كانوا يعتزون بانتسابهم الى عثمان الأول مؤسس الدولة، اما لقب "تركي" و "أتراك" فكان العثمانيون يطلقونه على الأجناس التركية المختلفة في نظرهم، والتي كانت تقطن أسيا مثل السلاجقة، التركمان والأوزبك.

امتدت التوسعات العثمانية الى أوربا انطلاقا من الاناضول عام 1356م، في عهد السلطان أورخان، ثاني السلاطين العثمانيين لتشمل بلاد اليونان بما فيها شبه جزيرة المورة، ثم بلغاريا، رومانيا، الصرب، المجر، ترانسلفانيا، البوسنة والهرسك، ألبانيا، الجبل الأسود ووصلت الى مشارف فيينا، وقامت بدور كبير في نشر الاسلام في أقاليم عديدة من القارة تحركهم روح الجهاد، كما استولت على عدد من الجزر الهامة في البحر المتوسط مثل رودس(1522)، قبرص (1571) ،كريت (1669)، و تعددت عواصمها تبعا لهذا التوسع على النحو التالي: قونية- بروسة – أدرنة - اسطنبول.

توسعاتها شملت أيضا آسيا كما ذكر سابقا بالاستيلاء على أراضي الدولة الصفوية (1514)، فتح الشام ومصر بعد الانتصار في معركة برج دابق (1516)،ومعركة الريدانية على التوالي (1517)، ثم دخول الحجاز في نفس السنة (1517)، ودخول بعض المناطق من اليمن التي أعلن أمراؤها الخضوع للسيادة العثمانية. دخلت بعد ذلك العراق عام 1534 ثم الاحساء المطل على الخليج العربي، ثم بعض امارات الخليج، ثم عدن ،ووصلت الى شمال افريقيا : الجزائر، ليبيا، تونس، وهذه التوسعات كلها زادت من رعاياها على اختلاف

أعراقهم وأجناسهم، ودخلت قوميات كثيرة تحت سيطرتهم، و بالتالي تنوعت التركيبة السكانية للمجتمع العثماني.

المحاضرة الأولى

مكونات المجتمع العثماني

أجمعت معظم الدراسات أن أول تجمع شكل النواة الاولى للدولة العثمانية كان يرأسه أرطغرل، ثم عثمان ابنه فيما بعد كان من عشيرة قابي،[1] وهم من الأتراك الغز احدى عشائر الحدود التي خضعت للسلاجقة ثم للايلخانيين، وبذلك العناصر الأولى المشكلة للمجتمع العثماني كانت من العناصر التركية الخالصة.

بعد النصف الأول من القرن 15م تحولت الدولة العثمانية الى دولة كبرى، وكانت نظرة العثمانيين الى المجتمع أن أفراده ملزمون بالتضامن والتكافل بينهم لضمان استمرار وجودهم ، كل وفق ملكاته ومواهبه، وهذا التقسيم للوظائف يفرض ظهور التباين والاختلاف بين الناس، وبالتالي ظهور الطبقات الاجتماعية التي كانت بالنسبة للدولة العثمانية من المستلزمات الأساسية للنظام الاجتماعي والسياسي.[2]

وللحيلولة دون وقوع ظلم بينهم وإقامة نظام اجتماعي يعتمد على العدالة فلابد من وجود قوة إدارية هي قوة الدولة، وحاكم يرعى ذلك، وانطلاقا من ذلك قسم المجتمع العثماني الى فئتين كبيرتين هما: - رجال الحكم والإدارة - وفئة الرعايا المحكومين.

أولا- فئة رجال الحكم والإدارة(الفئة العسكرية):

تتكون من أربع مجموعات هي: موظفوا السراي- رجال السيف –رجال العلم – رجال القلم.

1- موظفوا السراي:

السلطان على رأس الفئة العسكرية، كان يلقب بعدة القاب : ظل اله في الأرض، أمير المؤمنين، إمام المسلمين، حامي حمى الاسلام، سلطان الترك والعرب والعجم...وقد أقام

السلاطين العثمانيون في قصور مدينتي بورصة وأدرنة، ثم انتقلوا الى سراي طوب كابي الذي بناه السلطان محمد الفاتح، وأقاموا فيه لمدة ثلاثة قرون ونصف، وكان مقرا لإقامتهم

[1] حسين مؤنس، تاريخ الاسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص 356.
[2] أحمد بن لطف الله منجم باشي، جامع الدول: التاريخ العثماني 1299- 1481م، تح. وتع. أحمد أغير ، أقجة يالري، اسطنبول ، د ت، ص 14.

وفي نفس الوقت يعمل بهم وظفوا الدولة، وتجري فيه الاتصالات مع الدول الاجنبية وتقام فيه بعض المراسيم السياسية والادارية.

يتكون السراي من ثلاثة أقسام هي :

قسم الحريم: كان مخصصا لإقامة السلطان، وتقيم معة الوالدة وبناته الاميرات وابناؤه الأمراء وزوجاته وجواريه وموظفات الحراسة، إضافة الى أغا الحريم وعدد من أغوات الطواشي البيض.

قسم الأندرون: يضم غرفة العرض وخلفها الجواسق المختلفة والحدائق، غلمانه يسمون أغوات الأندرون وهم يختارون من غلمان سراي أدرنة وابراهيم باشا وغلطة، وكان عليهم أن يمروا بفترة تعليم وتدريب على مجموعة من المراحل تبدا من الغرفة الكبيرة و الصغيرة و تنتهي بالغرفة الخاصة.

من لا يصل للغرفة الخاصة يوظف خارج السراي ويتكفل موظفوا هذه الغرفة بالخدمة الشخصية للسلطان، والعناية بدائرة البردة الشريفة [1] ، ومن موظفي هذه الغرفة : السلحدار- الجوخدار- الركابدار- أغا التلبند..

وعموما فقد كان الأندرون بمثابة مدرسة لتكوين رجال الدولة لفترة طويلة من الزمن إضافة الى الكثير من الفنانين والخطاطين والنقاشين والموسيقيين والمفكرين. [2]

قسم البيرون:

يوجد بين الباب الأوسط وباب الأغوات البيض في سراي طوب كابي ، ينقسم موظفوه الى ست مجموعات هي :

أرباب العلم: ومنهم معلم السلطان، الاطباء، الكحالين، المنجمين، إمام السلطانن إضافة الى الجراحين وأطباء العيون وموظفي الصحة ..

الأمناء: وتضم أمين العاصمة، أمين المطبخ، أمين الضربخانة، أمين الشعير.

المجموعة الثالثة: تتكون من أغوات الركاب، حملة الأعلام، الموسيقيون، البوابون، الجاويشية، والقائمين على تربية الطيور، والطباخين الذواقة، إضافة الى اطارات عسكرية تنتمي لرجال اسيف معدودة ضمن أغوات الركاب.

---

[1] أكمل الدين احسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، مركز أبحاث التاريخ ، اسطنبول ، 1999، ص527.

[2] أكمل الدين أوغلي، نفسه ، ص528.

المجموعة الرابعة: وتضم جنود المتفرقة وجنود البلطة مهمتهم أثناء الحرب فتح الطرق والمسالك، رفع الاحمال، شد الخيام، ورفع جنازات الموتى من سكان الحريم. [1]

المجموعة الخامسة: وتضم المكلفين بالخدمات العامة مثل رجال البريد، عمال الملابسن الخطاطون، المجلدون، صناع الاحبار، النقاشون..

المجموعة السادسة: تضم عمال الحدائق، عمال القوارب، وهم يشكلون أوجاقا تعرف بأوجاق البستانية، وهم ينقسمون الى بستانية داخل السراي، وبستانية خارج السراي.أما عمال القوارب فمهمتهم التجديف في قوارب السلطان والسلطانة الوالدة والأميرات. [2]

2- **رجال السيف:** يقصد بهم فئة العسكريين في المجتمع العثماني، وهم يتولون أيضا الوظائف الادارية، وهم ينقسمون الى قسمين: جنود السباهية وعساكر القبوقلية.

أ- جنود السباهية: هم خيالة كانوا من العناصر المهمة في التشكيلات العسكرية، تمنح لهم الدولة قطع أراضي تسمى التيمار، واذا أبلوا البلاء الحسن في الحرب تمنح لهم بعد التيمارات ما يسمى بالزعامات، والسباهي صاحب التيمار كان مكلفا بتدريب جندي واحد وتجهيزه بجواد وعدة حرب كاملة عن كل 3000 أقجة من مداخيله، وكلما كشف أحد عن شجاعته وبطولاته يحصل على اقطاع أكبر.[3]

---

[1] -*أكمل الدين احسان أوغلى مرجع سابق، ص532.*

[2] *نفسه، ص534.*

[3] *خليل اينالجيك، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدواة العثمانية 1300-1600، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2007، ص 602.*

ب- القبوقلية: يمثلون الجيش الدائم في الدولة العثمانية، كانوا موزعين على 06 أوجاقات: العجمية- الانكشارية- الجيجية- المدفعية –المدفعية المحمولة على عربات- وعساكر سواري القبوقلية.كانوا يشكلون في البداية من أسرى الحروب (5/1)، وبعد ذلك أعتمد نظام جديد في تجنيدهم يسمى "دوشيرمة".كان عددهم يتزايد باستمرار حتى وصل الى حوالي 100ألف جندي. [1]

ج- رجال الهيئة العلمية:

هم المسؤولون عن شؤون الدين والقضاء والتعليم والتربية، حيث كانت هذه الفئة تتكون من القضاة والأطباء وخبراء الفلك والتنجيم ومن القائمين على التربية والتعليم في كافة المراحل ويندرج ضمن هذه الفئة موظفوا المساجد ومشايخ الطرق الصوفية والأشراف من آل البيت.

المدرسون: لكل منهم أجره الخاص حسب الدرجة التي ينتمي اليها ووفق الدروس المقررة في البرنامج من البسيط الى المعقد، وكانت هناك عدة مدارس تتفاوت في مستوى التعليم مثل المدارس السليمانية ذات المستوى العالي، ومدارس أخرى لايتعدى راتب المدرس فيها 20 أقجة عكس الاولى التي يفوق فيها 60أقجة. [2]

القضاة: كانت الدولة العثمانية مقسمة الى وحدات عدلية كل منها سمي قضاءيشرف عليها قاضي، يمارس مهمة الفصل في القضايا وبعض الشؤون الاخرى، وكانت وظيفة القضاء قصيرة المدة وتخضع للتجديد في كل مرة. [3] والقاضي تابع للادارة المركزية وهو مستقل في أحكامه.

المفتون: مهمتهم ابداء الرأي في في المسائل المطروحة عليهم من القضاة والموظفين والأشخاص العاديين الذين يبحثون عن السند الشرعي لموقفهم من قضايا معينة.

د- رجال القلم: وهم كافة الموظفين الاداريين ممن يعملون في الأجهزة و الدوائر الحكومية التي كانت تعرف باسم قلم. وقد كانت هناك ثلاثة أقلام هي: قلم الامارة – قلم التحويل – قلم الرؤس، وأغلب رجال القلم ينحدرون من عائلات مسلمة.

ثانيا-المحكومون:

يشكلون ما بقي من المجتمع العثماني وهم لا يشاركون في الحكم والإدارة وبالتالي فهم الطبقة الثانية الخاضعة لطبقة رجال الحكم، هذه الطبقة تدفع الضرائب للدولة وتمارس نشاطها في الزراعة والصناعة والتجارة وتعرف باسم الرعية أي الاهالي الذين يشملهم السلطان برعايته.

تتكون هذه الطبقة من جماعات وطوائف مختلفة ، فبالاضافة الى العنصر التركي كان المجتمع العثماني مكونا من العرب واليونانيين والارمن واليهود والسلاف .وهذا التنوع يرجع الى اتساع مساحة الامبراطورية العثمانية ، ولم يكن المجتمع العثماني قائما على أساس عرقي. [4]

---

[1] دونالد كواترت، الدولة العثمانية 1700-1922، تع.أيمن الأرمنزي، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004، ص 101.

[2] يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تع.عدنان محمود سلمان ، مؤسسة فيصل للتمويل، اسطمبول، 1988، ص88.

[3] نفسه، ص 89.

[4] أكمل الدين أوغلي، مرجع سابق، ص 551.

توزيع الرعية في الدولة العثمانية (احصاء 1844) [1]

الأتراك	1100000	10700000	-----	11800000
السلاف	7200000	------	--------	7200000
الرومان	4000000	--------	---------	4000000
الأرناؤوط	1500000	--------	---------	1500000
اليونانيون	1000000	1000000	---------	2000000
الأرمن	400000	2000000	---------	2400000
اليهود	70000	100000	--------	170000
التتار	230000	--------	--------	230000
العرب	----------	900000	3800000	4700000
السوريون(موارن وكلدانيون)	------	235000	----------	235000
الدروز	----------	25000	--------	25000
التركمان	-------	90000	---------	90000
الأكراد	---------	1000000	----------	1000000
المجموع العام	15500000	16050000	3800000	35350000

[1] أكمل الدين أوغلي ، م س ، ص557

المحاضرة الثانية

غير المسلمين في المجتمع العثماني (التركيبة السكانية)

انقسم المجتمع العثماني الى فئتين هما :

- المسلمون ويتشكلون من الأتراك والعرب والعجم والبوشناق والأرناؤوط .

- غير المسلمين و يتشكلون من عناصر كثيرة، الأغلبية منها تضمها 03 ملل كبيرة : هي

الأرثوذكس : كانوا أكثر عددا، منهم اليونانيون الأغلبية وأهل الأفلاق والبغدان وسكان الجبل الأسود والعرب والبلغار، مركزهم الديني هو بطريق خانة الفنار.

الأرمن: مسيحيون غير أرثوذكس، لهم وضع قانوني مستقل في المجتمع العثماني، وهم يؤمنون بالطبيعة الواحدة للمسيح عيسى عليه السلام، ولهذا كان الأرثوذكس يتهمونهم بالمروق .

الذين يستقرون في منطقة (أريفان) يتبعون رئيس البطارقة في المجال الديني والموجودون في مناطق قوزان- مرعش - حلب تابعون لرئيس البطارقة في سيس والذين هم بمنطقة (وان) (Van) يتبعون رئيس البطارقة في أق دمار، وكان باستانبول أيضا عدد كبير من الأرمن، وكانت اجميادين (Eçmiyadzin) الى غاية فتح استانبول أهم المراكز الروحية لهم، وبعد الفتح عين محمد الفاتح رئيس أساقفة بورصة بطريرقا على الكنيسة الأرمنية ومنحه صلاحيات بطريرق الروم ورئيس الحاخامات.

اليهود : كان أغلبهم يقيمون في استانبول وازمير وسلانيك وغيرها من المدن الساحلية أو في المدن الأهلة بالسكان مثل بغداد وحلب، نسبة كبيرة من هؤلاء اليهود الذين استقروا بالأراضي العثمانية كانوا قد فروا من الابادة عقب سقوط الأندلس عام 1492م ومن الاضطهاد في بولندا والنمسا وبوهيما يمثلهم رئيس الحاخامات. وإضافة الى هذه الملل الكبرى، كانت بالمجتمع العثماني طوائف مسيحية أخرى تتمثل في السريان، اليعاقبة، النساطرة، والمارونيين، ولكن عددهم كان قليلا، مقارنة بما سبقهم من الملل وحول نسبة غير المسلمين في المجتمع العثماني يذهب عمر لطفي بارقان الى أنها كانت تصل إلى غاية عام 1520 إلى 42 % استنادا الى مجموع الدفاتر الخاصة بالضرائب والتي نظمت في عهد سليمان القانوني ولو أنها كانت خاصة بالذكور فقط، معدل المسيحيين 41.39 %، ومنهم

الأرثوذكس 38.84 %و الكاثوليك 22.55، اليهود 0.48 % من مجموع عدد السكان البالغ 11.692.480 نسمة .[1]

ومع حلول القرن 19 وتناقص مساحة الامبراطورية العثمانية ازداد تراجع عدد غير المسلمين و هو ما يوضحه الجدول الموالي :

جدول توزيع غير المسلمين في الأراضي العثمانية عام 1844: [2]

الأديان و المذاهب	أوروبا	اسيا	افريقيا	المجموع	النسبة المئوية
الروم الأرثوذكس	11.370.000	2.360.000	————	13.730.000	38.84
الكاثوليك	260.000	640.000	————	900.000	2.55
اليهود	70.000	100.000	————	170.000	0.84
المجموع العام	11.700.000	3100.000	————	14800.000	/

و بعد فقدان الدولة العثمانية لمعظم أراضيها في القرن 19، و هجرة المسلمين من تلك الأراضي تغيرت نسبة غير المسلمين في المجتمع العثماني، وارتفع معدل المسلمين حتى وصل الى 74. و يأتي بعدهم غير المسلمين حسب ارتفاع النسبة :

- ✓ اليونانيون : 13.49
- ✓ الأرمن: 5.47
- ✓ البلغار: 4.36 [3]

[1] O.L . Barkan , essai sur les donnée statistiques des registres de recensement dans L'empire ottomane aux 15 et 16 siècle , journal of the Economic and social history of the orient , 1957.pp.19-23 (JESHO)

[2] أكمل الدين أوغلي ، المرجع السابق ، ص 555

[3] نفسه، ص 558

المحاضرة الثالثة :

تصنيفات فئات المجتمع العثماني حسب توزيعهم السكاني

المجتمع العثماني كان ينقسم حسب التوزيع السكاني الى ثلاث فئات هي : سكان المدن الذين يتشكلون من الموظفين الرسميين والتجار وأرباب الصناعات المختلفة، من سكان القرى الذين يعيشون على الزراعة، وأخيرا البدو الرحل الذين لم يعتادوا حياة الاستقرار

1- سكان المدن :

المدن: أماكن تجمع بين النشاط الصناعي والتجاري والمهام السياسية والادارية والعسكرية والدينية وهذه المدن تنقسم الى 3 أقسام (عدا اسطنبول) : -مركز الايالة- مركز السنجق – الأقضية، ويجري تنظيم سكانها تبعا لذلك، والقسم الأعظم من المدن العثمانية كانت على شكل قصبان تحاط بالمزارع كالكروم والبساتين والحدائق، وهي تمثل سوقا تجري فيها عمليات التسوق بين القرى التي بها ويختلف انتاجها عنها، كما توجد بها المساجد والمحلات التجارية والمدارس والمكتبات ودور اطعام الفقراء والمؤسسات الصحية وحنفيات المياه، وغالبية هذه الوحدات كانت من الأوقاف لتقديم خدماتها للسكان .

عدد سكان المدن كان يختلف من مدينة لأخرى وأغلبها يقل عن 08 أو 10 ألاف نسمة ولا يتجاوز أكثرها 60 أو 70 ألف نسمة باستثناء استانبول التي وصل عدد سكانها في القرن 16 الى 700 الف نسمة وكانت أكبر المدن للأوربيين.

يمكن تقسيم سكان المدن العثمانية الى 04 طبقات هي : طبقة العسكريين- طبقة التجار – طبقة أرباب الصناعات – الفئات الأخرى.

حيث يوجد في مركز الايالة التي يسيرها البكلربكي أحد رجال السيف وقاضي من الهيئة العلمية، ودفتر دار من رجال العلم ، وضمن حاشية البكلربكي عدد كبير من الموظفين والجنود، وعلى رأس السنجق امير وهو من رجال السيف ومجموعة من الجنود الخاضعة لقيادته، كما يوجد بالأقضية قاضي له صلاحيات في المجالات المدنية والبلدية، وله الحكم في القضايا المطروحة عليه وهو من رجال الهيئة العلمية، يعينه نائب من العلماء وله مساعدون آخرون هم أئمة المساجد ولكنهم لا يملكون صلاحيات القضاء، ومحضرون وكتاب وعدد من الخدم وجنود يساعدونهم في جمع الضرائب وتطبيق الأحكام وتعقب المجرمين وحراسة القلاع، اضافة الى المحتسب المكلف بمراقبة الأسعار والتفتيش على أرباب الحرف والصناعات ومراقبة الموازين والمكاييل والجودة والنظافة ومعاقبة المخالفين.

التجار : يمثلون المجموع في المهمة في المدينة، فقد تبوأوا مكانة مهمة في المجتمع العثماني، وكانوا أكثر تحررا من رقابة الدولة مقارنة بالعاملين في المزارع وأرباب الحرف وكان رجال الأعمال الكبار يختلفون عبر صغار التجار من حيث الدخل حيث كانوا يحققون أرباحا طائلة وكانوا يسيطرون على 80% أو 90% من أمور الشراء والنقل والتخزين للمواد الاستهلاكية.

أما أرباب الحرف والصناعات فكانوا يمثلون مجموعة أخرى من سكان المدينة العثمانية وكانوا يلقبون ب (أصناف) مما بقي فروع العمل المختلفة، ومنهم الوراقون، المجلدون، الخياطون، المبيضون، صناع السيوف، صناع الدروع، صناع الخيام، صناع السكاكين، صناع الابر، الحلاقون...

فهم ينتجون المواد المختلفة، ويبيعون مت ينتجونه بأنفسهم، وسكان المدن عموما عدا أفراد الفئة العسكرية و الأجانب فقد كانوا ينظمون في طوائف حرفية لما يعرف حاليا بالنقابات وغالبيتها كانت تضم أعضاء من دين واحد. والقليل منها كان يضم المسلم، وعدا الفئة العسكرية وطبقة التجار وأرباب الحرف والصناعات المختلفة، كان يسكن المدن فئة أخرى من الناس منهم الممثلون الرسميون، التجار الأجانب القادمون من خارج البلاد ممن حصلوا على الاذن، الرحالة، العاطلون عن العمل ممن نزحوا من الأرياف الى المدن، الباعة المتجولون، الأشراف الذين اعترفت لهم الدولة بشرف النسب.

سكان الريف :

اقتصاد الدولة العثمانية كان يعتمد في الغالب على الزراعة ولذلك كان سكان الريف يشكلون غالبية السكان، وهؤلاء كانوا ينقسمون الى عدة أقسام هي: عائلات المزارعين، أمراء الاقطاعات، العائلات التي تزرع المقاطعات، ثم المسلم و المعافى.

الأملاك ومنها الأراضي الزراعية كانت تابعة للدولة وتم تقسيمها الى وحدات، ووزعت على عائلات الفلاحين.

-عائلات المزارعين أمراء الاقطاعات: تتشكل من أمراء التيمار، الذين يؤدون وظيفة رسمية في الدولة أو الذين يلتزمون بتجهيز عدد من الجنود، كانوا يستقرون في القرى خصصت لهم الدولة اقطاعات، وتضيف اليهم آخرين حصلوا على تيمارات مشابهة.

العائلات التي تزرع المقاطعات: ينقسمون الى فئتين هما: عائلات تزرع مقاطعات الدولة وفق تمليك معين، و أخرى تؤجر مزارع الدولة.

عائلات ذات تمليك معين: حصلت على أراضي فلاحية بالأسلوب الانتاجي، أي تفلح الأراضي وتعمل على الانتاج دون التصرف فيها بالبيع أو الهيبة أو الوقف، والفلاح هنا حر

في استغلال الأرض التي خصصت له دون تدخل من أحد مقابل تأدية الضريبة المخصصة من الدولة ، و حتى لا تتفتت الملكية بعد وفاة الأب ، و يلزم أباؤه بفلاحة الأرض بالمشاركة و يدفعون الضريبة بالمشاركة و ان لم يكن له أبناء ، يستغلها أقرباؤه حسب الأولوية، وان لم يكن له قريب، تعطى لفقير معدم من القرية، وغالبا ما كانت مساحة هذه المقاطعات تتراوح بين 70 و150 دونما واذا أهمل الفلاح أرضه لمدة تزيد عن 03 سنوات (المخصصة لراحة الأرض) تؤخذ منه الأرض.

عائلات تؤجر الأراضي : تؤجر هذه العائلات مقاطعات من الدولة وتقوم بزراعتها مقابل مبلغ سنوي تتفق عليه، وإذا كانت الأرض وقفا يحق للمؤجر بناء مسكن عليه وتشجيرها ويصبح السكن والأشجار ملكا له.

وهؤلاء المزارعون عموما كانوا يدعمون عملهم بنشاطات أخرى مكملة خاصة بين القرنين15-17 وكان يعيش من سكان الريف أيضا عدد من الحرفيين والخياطين ونساجي الجواليق والنحاسين والحدادين وصناع البرادع والحلاجين.

المتسلم: هي فئة كانت استمرارا لوحدتين عسكريتين تتشكلا أثناء قيام الدولة العثمانية كانتا تسميان : المتسلم والبابا (أي المترجلة) الأولى من الخيالة والثانية من المشاة المترجلة، أثناء الحرب يحصلون على أقجتين يوميا، في جين المسلم يشتغلون بالفلاحة في المزارع التي فتحت لهم من الدولة دون دفع الضرائب

المعاف : منهم جنود القلاع المكلفون بحراسة القلاع وملازموا القلاع الذين يساعدونهم بعض أسطاوات القلاع كالحدادين والنجارين وصيادي الطيور، وعمال أفران المعادن ومزارعي حقول الأرز وحراس المضايق والممرات وحراس الجسور منهم سكان الزوايا والمقعدون من السباهية، وملازموا الجوامع كالخطباء و الأئمة و الحفاظ و الشيوخ الذين كانوا يشكلون مجموعات كل واحدة 10 أشخاص يتولون مهاما ولهذا جماعة العلماء (المنشغلون بالعلم) وهؤلاء كانوا معفيين من دفع الضرائب ولذلك أخذوا اسم "المعاف "

البدو الرحل *:* (جماعات اليوروك) كانت تشكل تجمعات سميت بأسمائها أو بأسماء الأراضي التي تنقلت بينهم وكانوا ينقسمون الى قبائل وعشائر، رئيس القبيلة عندهم يسمى بالنسبة للأتراك أمير، وعند العرب يعرف ب"شيخ" وهو المكلف بإدارة شؤون العلاقة بين قبيلته وبين الدولة.

كانت قبائل البدو الرحل تنتقل فوق مساحة واسعة من الأراضي، ولما بدأت الدولة في توطين البدو الرحل تفتتت القبيلة الواحدة وتوزعت القبائل على مساحات أكثر اتساعا واضطرت لحياة الاستقرار.

العمل الرئيسي للبدو الرحل كان تربية الحيوانات، وكانوا يوفرون للمدن اللحوم والالبان والجبن، وكانوا يؤدون للدولة رسوما قدرها أقجة واحدة عن كل خروفين، ورسم حظائر قدره 05 أقجات. [1]

جدول عدد سكان المدن الرئيسية خلال تواريخ مختلفة [2]

☹اسم المدينة	قبل عام 1520	1530-1520	1580-1571	بعد عام 1580
استانبول	97956 (1478)	400.000	700.000	————
حلب	67344 (1519)	56881	45331	46365
دمشق	————	57326	——	42779 (1595)
بورصة	————	34930	70686	————
أدرنة	————	22335	30140	————
ديار بكر	————	18942 (1541)	31443	————
أنقرة	————	14872	29007	————
أثينا	————	12633	17616	————
توقاد	17328 (1455)	8354	13242	21219(1646)
قونية	————	6127	15356	————
سيواس	3396	5560	16846	————
سراييفو	————	5632	22485	————
مناسيتر	2654	4647	5918	————
أوسكوب	4974	4631	9867	————
صوفيا	————	3899	7848	————

[1] أوغلي، م.س، ص 570.

[2] O.L, Barkan, « Essai sur les données statistiques » opcit,p 527.

المحاضرة الرابعة

"العائلة في المجتمع العثماني"

تعريف بالعائلة العثمانية:

لا نعني بالعائلة العثمانية فقط المسلمين، بل كل من كان يسكن الرقعة العثمانية من مسيحيين ومسلمين ويهود ، وكانت العائلة من منظورها العام أساس المجتمع العثماني، فهي وحدة إنتاج ، تدفع الضرائب وتجند أبناءها في الجيش كلما احتاجت الدولة للمزيد من المجندين خاصة وقت الحروب.كانت مكونات المجتمع العثماني متنوعة، نظرا للامتداد الكبير لمساحة الامبراطورية، ورغم ذلك كان هناك تماثل كبير فيما يخص العائلة، سواء في القرى أو في المدن، حيث لانجد فوارق كبيرة لتصورات الناس حول العائلة والعلاقات بين أفرادها.

خصائص العائلة العثمانية:

كانت العائلة العثمانية أبوية التكوين، حيث كانت الدولة تسجل الأب والابناء الذكور فقط لدفع الضرائب وينطبق ذلك على جميع الأديان، و فيما يتعلق بالزواج يقوم \افراد العائلة المسلمة بمراسيم دينية يؤديها شيخ، أما المسيحيون فكان الزواج عندهم يتم بمباركة دينية ويسجل في الكنيسة .

عند الوفاة تقسم التركة بين أفراد العائلة وفق قوانين دينية، وحتى المسيحيين في بعض الخالات كانوا يقسمون تركتهم وفق القواعد الاسلامية المرتبطة بالإرث كما هو الحال بالنسبة لبعض العائلات الأرمينية نظرا لوجود تشابه كبير بين المجتمعين.

لم يكن باستطاعة أية عائلة أن تقيم في حي إلا بموافقة الجيران، أي أنهم لهم الحق في مراقبة العائلة وطردها أحيانا اذا صدرت منها تصرفات غير لائقة، ويقوم أشخاص تعينهم العائلات بتحمل مسؤولية المرافق العامة كصنبور الماء و نظام التصريف، والملاحظة في هذه الخصائص أن العائلات الثرية والعائلات الفقيرة كانت تعيش معا في نفس الحي لأن هذا الأخير وجد على أساس ديني. [1]

ومما يلاحظ أيضا على العائلة العثمانية أن المظهر الخارجي لأفرادها يوحي بأنهم يشكلون مجتمعا إسلاميا، فألبستهم نظيفة ولا تظهر المبالغة في الزينة على لباسهم – حسب ما ورد في بعض الكتابات عن هذه العائلة- مقارنة بما هو موجود في أوربا 2، فالرجل العثماني لا يرغب في حب الظهور، وهو وقور وقنوع. ولو دخل غرباء الى بيوتهم يلفت نظرهم قلة

[1] البر اورتايلي ، اعادة استكشاف العثمانيين ، الدار العربية للعلوم،اسطنبول، ط1، 2012، ص 43.

2-علي الكاتبي القزويني، جوامع اللذة، ترجمة وتحقيق عبد البديع مصطفى عبد البديع، دار تالة للطباعة والنشر، المايةـ ليبيا، 2002، ص. 593.

مصروفاتهم، كما يؤكد الباحثون أنه لايوجد متسولون في الطرقات، فالمعوزون موجودون حقا، لكن الناس متضامنون معهم ولا أحد من الأثرياء وحتى من الطبقة المتوسطة الدخل يمتنع عن إعانتهم.[1]

طرق المعاملة بين العائلات في المجتمع العثماني:

تحظى كل عائلة باحترام كبير من بقية العائلات ويسود بينها التضامن والتكافل فاذا حدثت ولادة تساعد العائلات الأم الجديدة اذا كان أفراد عائلاتها معوزين. واذا ذهب الطفل الى المدرسة الدينية المحلية سواء اسلامية أو بيت مدراش يهودية، واذا امتنعت العائلة عن أخذه للمدرسة تقابل بالانتقاد، وبالمقابل تقوم العائلات بتهنئة الطلبة الناجحين، كما لا تتوقف العائلات فيما بينها عن مساعدة المرضى والعائلات التي تواجه أزمات ولكن هذه المعاملة بدأت تتلاشى تدريجيا منذ القرن 19 بسبب ظهور المدن الكبرى وازدياد ظاهرة الهجرةكما تعرضت العائلة للتغير في مرحلة الاصلاحات المعروفة بالتنظيمات، حيث انتشرت العائلات الصغرى ولم يكن الطلاق رغم الأزمات التي مرت بها العائلة مستحبا، وكان من حق الزوجة أن تطلب الطلاق لعدة أسباب.[2]

أهمية الزواج في العائلة العثمانية :

تدل معظم الدراسات التي أجريت حول العائلة العثمانية أن الزواج كان مقدسا في المجتمع العثماني وأن الزوج غالبا ما كان يكتفي بزوجة واحدة، ولم يسجل التعدد الا بنسب ضئيلة جدا ، و كان الهدف منه اذا وقع في الغالب انجاب طفل ذكر، فبتسجيل عقد الزواج يبدأ الارتباط المقدس بين الزوجين ويبدأ تكوين العائلة، وحتى بعض العائلات غير المسلمة رغم حريتها الدينية كانت تسجل عقود زواج أبنائها في سجلات المحاكم الشرعية الاسلامية. [3]

تركيب العائلة العثمانية :

تتركب العائلة العثمانية في الغالب من أربعة الى سبعة أفراد مع وجود عائلات كبيرة في الاحياء الثرية، خاصة في القصبات والمدن حيث تضم الأب والأم والأبناء والحماة وأخت الزوج وأخته من الرضاعة والخادمة والجواري، وكان عدد أفرادها عموما.

---

[1] اكمل الدين احسان أوغلي، م.س، ص.576.

[2] علي الكاتبي القزويني، م.س، ص593

[3] -نفسه، ص.577

يتراوح بين 30 و35 فرد، ولكن هذا النوع من العائلات بدأ يزول مع بداية القرن 20 حتى اختفى تماما، وبدأت العائلات الصغيرة تنتشر في كل مكان .[1]

المحاضرة الخامسة :

المرأة و دورها في المجتمع العثماني :

مكانة المرأة في المجتمع العثماني :

كانت المرأة العنصر الأهم في المجتمع العثماني في الغالب ورغم ذلك هذه المكانة كانت تختلف من منطقة لأخرى، فمثلا كانت تحتل مكانة أقل من غيرها في العائلة عند الأتراك المسلمين والعرب والأرمن واليونانيين، بينما كانت مكانتها عالية في البوسنة وعلى ضفتي الدانوب في الأناضول الأوسط، والمعروف عن المرأة أنها كانت تخرج دون حرج الى الأسواق وكان يحترمها جل أفراد المجتمع وخاصة في اسطنبول والمدن الصغيرة.

المميزات العامة للمرأة العثمانية :

كانت المرأة العثمانية حسب العديد من المصادر، مهما كان دينها أو عرقها تحب التزين والظهور في أجمل مظهر[2]، ولكنها كانت تخفي زينتها وهي تمشي في الشوارع، فقد كانت تستعمل الحلي الثمينة مثل الأحزمة والدبابيس والماص والزمرد واللؤلؤ وكانت تلبس الأزياء الجميلة، ولا تكشف عن هذه المظاهر إلا في دارها، عند صديقاتها أو أقاربها، وغالبا ما تلتقي المرأة بغيرها من النساء في منازلهن في زيارات متبادلة، أو في الحمامات العامة التي كانت النساء تظهر فيها بأرقى ألبسة الاستحمام مثل المناشف المطرزة والصنادل الخشبية العالية[3] .

حقوق المرأة في المجتمع العثماني :

كان للمرأة حقوق كثيرة منها حق الحصول على الممتلكات وشرائها دون تدخل زوجها أو أقاربها، وحق ادارتها وبيعها، والتصرف في ايراداتها، ولا يجوز لأي كان التصرف في هذه الأملاك دون موافقتها ويجوز لها اللجوء للمحكمة اذا تعرضت للمضايقات .

من حقوقها أيضا حق خلع زوجها بسبب سوء معاملة أو هجرها، حيث لها الحق أن تتقدم للمحكمة بطلب الانفصال وكانت تتنازل عن حقها في الصداق وقد حكمت المحاكم للكثير من النساء بالانفصال .

---

[1] - اكمل الدين احسان أوغلي، م.س، ص.576.

[2] اوغلي، نفسه، ص. 595.

[3] سريا فاروقي، موضوعات السلطان: الثقافة والحياة اليومية في الدولة العثمانية، توريس، لندن، 2005، ص. 106.

للمرأة أيضا حق التعليم فقد مكنتها الاصلاحات العثمانية من ذلك في القرن 19، وقد تم فتح أول مدرسة للبنات سنة 1858، ثم فتحت مدرسة سميت الازدهار سنة 1869، و كان تعليم المرأة عموما يركز على تدريبها على أن تكون أحسن زوجة و أم مسلمة [1]، وتدعم هذا التعليم بصدور مجلات نسائية كانت تسير من طرف النساء و تدور مواضيعها حول كيفية تكوين المرأة لتحتل مكانة مرموقة في الأسرة، ويشمل هذا التكوين آداب المعاملة والخياطة المنزلية والطبخ، التوعية الصحية ورعاية الأطفال .

مساهمة المرأة في الأعمال الحضارية للدولة العثمانية :

أعمال خيرية كثيرة ساهمت بها المرأة وخاصة نساء القصر ولنا في ذلك نماذج منها حفصة سلطان التي أنشأت مجمعا مانسيا بداخله جامع ومدرسة ابتدائية ومطعم للفقراء، ونوربانو سلطان التي أنشأت مجمعا كاملا سنة 1583، ومكتبة لجامع المجمع وهي أول مكتبة تؤسسها امرأة في اسطنبول، كما نذكر خرم سلطان التي أوقفت في اسطنبول عدة أوقاف منها جامع وميضأة في أكسراي وبجواره مطعم خيري ومدرسة ومستشفى إضافة إلى عدة أسبلة في أدرنة، وأعمال المرأة العثمانية كثيرة ومساهمتها عظيمة ولا يمكن ذكرها كلها .

[1] لويس رين، إعادة النظر في الإستشراق، المرأة والسياحة والحريم العثماني، لندن، توريس، 2004، ص. 56.

المحاضرة السادسة :

فعاليات المجتمع العثماني :

ككل مجتمع، سادت المجتمع العثماني فعاليات أساسية كان لها دور كبير في المجالات الاجتماعية والاقتصادية، و توزعت هذه الفعاليات على الأعيان الذين كانوا يشكلون فئة مهمة، متبوعين بالعلماء، وأرباب بعض المهن والصناعات .

أ- الأعيان :

خلال القرنين الأولين من الحقبة العثمانية اعتمدت السلطة العثمانية نظام التيمار لمكافأة النخب العسكرية والادارية، وهذا النظام يقوم على توزيع الأراضي على خيالة الأقاليم والنخبة الامبراطورية على أساس المداورة، أي أنهم لم يكن بمقدورهم تملك هذه الأراضي بشكل نهائي .[1]

هذه التيمارات تطورت فيما بعد الى زعامات بحيازة أصحاب التيمارات على قطع اراضي أوسع من الأولى، فأصبح مالكها يسمى زعيما .

بعد ذلك تخلت السلطة العثمانية عن هذا النظام واستبدلته بنظام تلزيم الجباية لأعيان الأقاليم، وقد سمي بعض المؤرخين هذا التحول بحقبة التحول الى النظام الاقطاعي، واستمر ذلك حتى نهاية الدولة العثمانية، بما في ذلك حقبة ما بعد التنذيمات خلال القرن 19، والتي بقي الأعيان فيها يتولون الجباية، وبهذا النظام الجديد (نظام التلزيم) ازداد نفوذ الأعيان وازدادت سلطتهم الاقتصادية والسياسية، وبدأ نفوذ الدولة يتراجع لعدم قدرتها على التحكم في الانتاج وعجزها عن تمويل الجيش خاصة أثناء النزاعات والحروب .[2]

الأعيان هم من يحددون طبيعة الانتاج، ويدعمون الدولة وقت الحروب مما جعلهم يزدادون قوة خاصة وقت تدهور العملة العثمانية بحوالي 05 مرات خلال النصف الثاني من القرن 16 وبداية القرن 17، وانكشف نفوذهم أكثر خلال حرب العثمانيية مع روسيا خلال فترة (1768-1774) ونهاية القرن 18 أصبح ثلث الأراضي الزراعية بيد فئة الأعيان، وخاصة في مناطق : غرب الأناضول ومحيط البحر الأسود والبلقان وبلاد الشام، وفي المناطق التي كان يشغلها الأعيان في انتاج الحبوب والتبغ والقطن والصوف، والتي كانوا يصدرونها الى أوروبا لوقوعها قرب أسواق التصدير، ولم يكن بامكان الدولة تحجيم نفوذهم لعجزها في هذه الفترة.

---

[1] Barkey karen , « ottoman regional elites : divides but loyal" in: bandits and bureaucrats , route to state centralization Ithaca, cornell university , press , 1994, p 75

[2] Wallerstein I,H . '' the incorporation of the ottoman empire into the world economy '' in Huri islamoglulane , ed Cambridge U.K , p 91

أصبحت فئة الأعيان كذلك تسيطر على التزام الجباية، كانوا يحصلون علية من السلطة اما بتكليف مباشر أو بشرائه في المزاد العلني. وكانوا يؤجرونه للأعيان المحليين الذين يتولون الجباية على الأرض، وكانت مدة الالتزام ثلاث سنوات .

الدولة العثمانية بهذا النظام كانت تحاول استيعاب هؤلاء الأعيان، لكن نفوذهم تزايد كثيرا الوقت الذي ضعفت فيه الدولة، وأصبح هؤلاء الأعيان يستغلون حتى قطاع الطرق والمجرمين للحفاظ على نفوذهم وارهاب الفلاحين للخضوع لهم، وبقي وضعهم على هذا المنوال الى غاية سقوط الدولة العثمانية عام 1924.

ب- العلماء :

بعد الدور الثقافي الذي كان للعلماء في بداية عهود الدولة العثمانية، أصبح لهم دور سياسي وخاصة مع ثلاثينيات القرن 19 بدعوتهم الى الاصلاح، واصبح لهم نفوذ لا يقل أهمية عن نفوذ الأعيان وأرباب الحرف المختلفة.

فقد احتل العلماء بالإضافة الى وظائفهم الدينية مواقع اجتماعية، وازداد نفوذهم رفقة الهيئة الاسلامية المتمثلة في شيخ الاسلام وكبار العلماء والوعاظ، والذين شكلوا حلقة اتصال مباشرة بين الدولة والمجتمع، ولم يقتصر دورهم على ذلك بل تجاوزه الى المجال الاقتصادي من خلال تقديم الغطاء الشرعي للسلطة الحاكمة، وقد ساهم ذلك في ظهور ارستقراطية من العلماء عملت على تدعيم نفوذها، ودخلت حلبة الصراع داخل الهيئة الحاكمة مع فئة الأعيان، عبر تحالفاتها السياسية والعسكرية.

ج- أرباب الحرف و الصناعات :

كانوا يحظون بأهمية كبرى في المجتمع العثماني، حيث كانت الدولة العثمانية تشجعهم للدور الأساسي الذي تؤديه هذه الفئة في تأمين متطلبات الحياة الاجتماعية حتى أن الدولة كانت تعفيهم في بعض الأحيان من دفع الضريبة، وكان أرباب هذه الحرف الواسطة بين السلطة و نقاباتهم المهنية. وقد ازداد نفوذهم بدورهم بصفة خاصة مع أواخر القرن 17 وبداية القرن 18، وخاصة أصحاب المداخيل الكبرى الذين أصبحوا يشكلون طبقة أرستقراطية أضفت مجدها ونفوذها من احتكاراتها الكبرى. لم يكن من الممكن قبوا عضو لا ينتمي الى نقابة، وكل مبتدئ عليه أن يمر بمراحل حتى يصبح (أسطة)، وليصبح كذلك في النهاية عليه الحصول على موافقة النقابة .[1]

[1] علي الكاتبي القزويني، جوامع اللذة، ترجمة وتحقيق عبد البديع مصطفى عبد البديع، تالة الطباعة والنشر، ليبيا، 2002، ص.582.

المحاضرة السابعة:

الحرف و الحرفيون في المجتمع العثماني :

مكانة الحرفة و الحرفيين في المجتمع العثماني :

شكلت الصناعات الحرفية الصغيرة جزءا هاما من الاقتصاد العثماني، وكانت مصدر رزق لنطاق واسع من سكان الامبراطورية العثمانية، فهذه التنظيمات الحرفية كانت تستوعب عددا كبيرا من السكان لا يفوقه سوى عدد المنطويين تحت فئة العسكريين، لكون نشأة المجتمع العثماني كانت نشأة عسكرية ولكن المجتمع العثماني كأي مجتمع هو بحاجة ماسة الى اليد العاملة وفي مقدمتها الحرفية التي لابد من وجودها لتوفير متطلبات الحياة اليومية لأفراد المجتمع. وهذه الأيدي الحرفية لها خصوصياتها من حيث المستوى المعيشي والموقع التخصيصي في الدولة العثمانية. فهي لها وزنها الخاص، وتأثيرها في الاقتصاد والعام للدولة والخدمات التي تقدمها لأفراد المجتمع جعلتها تمثل مكانة هامة في المجتمع العثماني كما كان لهم أثرهم في التبادل التجاري بين الدولة العثمانية و بقية الدول ، فعلى سبيل المثال هذه الحرف كانت تقدم نوعية رفيعة من المنسوجات والمصنوعات الجلدية التي كانت واسعة الانتشار، وخاصة صناعة النسيج الحريري.[1]

شكل أرباب الحرف الطبقة الوسطى في المجتمع العثماني، وشكلوا منظومة تخصصية عرفت بمسميات الحرف التي كانت متداولة بينهم، وأصبحت طبقتهم مع مرور الوقت طبقة غنية ذات اعتبار خاص في المجتمع، وعدد أفرادها أصبح يتزايد باستمرار، وأصبحوا يضيعون المواد المختلفة ويبيعونها بأنفسهم، كما شكلوا نقابات، لا يدخلها إلا من كان يمارس نفس الحرفة. وتتبع النقابة نظاما خاصا له قيادته التي تشرف عليه وتمثله لدى الدولة، ويطلق على رئيس النقابة شيخ، وعلى معاونه كتخدا أو كاهيا.

كان هؤلاء الممثلون حلقة اتصال مع الدولة لطرح انشغالات أفراد نقابتهم، أو طرح قضايا أخرى، وبذلك شكلت الحرف عنصرا هاما في الدولة العثمانية، وكان لها مردود اقتصادي هام على المستوى الداخلي أو في التجارة الخارجية.

أهم الحرف في المجتمع العثماني :

كانت للحرف العثمانية مكانة هامة محليا وخارجيا، حيث كانت تحظى برواج لدى العديد من الدول الأوروبية لما لها من اتقان وجودة عالية وجاذبية، تعبر عن مهارة الحرفيين العثمانيين آنذاك حيث كانت تجمع بين المجال والجودة والطابع الاسلامي الذي اشتهرت به

[1] يلماز أوتونا ، م.س ، ص 57 .

الكثير من الصناعات، ومن أهم الحرف التي كانت سائدة في المجتمع العثماني، والتي لازالت سارية لحد الآن نذكر:

1- المنسوجات المختلفة :

أسس أول مصنع للسجاد عام 1843 في مدينة هركة التي تقع بين اسطنبول والمناطق الغنية بأدوات صناعة السجاد لتغطية متطلبات القصور العثمانية والأجنبية خاصة القصور والكنائس الايطالية، وكانت هذه الصناعة تجمع أشهر الحرفيين، بالإضافة الى مصنوعات نسيجية كثيرة كانت النسوة بالخصوص تتفنن فيها، وصناعة النسيج كانت معروفة في المنطقة حتى قبل ظهور الدولة العثمانية، وبظهورها انتشرت بشكل واسع في الأناضول أي أن تاريخها يمتد الى ثلاثة ألاف سنة.

2- صناعة الخزف الملون :

اشتهرت به مدينة إزنيق التي كانت مركز الصناعات الخزفية العثمانية ومقرا لمختلف المصانع آنذاك. وقد تطورت هذه الحرفة الى النقش على البلاط، وتأثر العثمانيون في هذه الحرفة بالسلاجقة، وكان يغلب على هذه الصناعة اللون الأزرق والابيض الذان يرمزان الى الحرية و النقاء.

ويمكن ملاحظة كثرة رسوم الأزهار على الخزف مثل زهور التوليب التي ترمز الى الله وهي عادة ما تستخدم لتزيين قصور السلاطين والمساجد، ويقال ان هذه الحرفة نقلت من الصين الى الدولة العثمانية في فترتها الأولى، وبحلول القرن 17 انتشرت هذه الحرفة بشكل واسع خاصة في كتاهيا .[1]

3- النقش على النحاس :

كانت منتشرة بكثرة في الدولة العثمانية، وكانت تستعمل فيها نقوش ترمز الى الطابع الاسلامي للدولة، ومن أشهر المدن التي اشتهرت بها مدينة عنتاب، وخاصة في صناعة أواني الطعام وأدوات الزينة، وقد استمدها العثمانيون من مدن حوض البحر الأبيض المتوسط مثل حلب ودمشق والقدس .

[1] يلماز أوزتونا ، م.س ، ص 58 .

المحاضرة الثامنة :

الدين و التقاليد العثمانية :

1- الدين:

الدولة العثمانية دولة اسلامية وقد كانت حريصة جدا على الالتزام بتطبيق مبادئ الشريعة الاسلامية و اقامة الشعائر الاسلامية، واحترام التقاليد الدينية [1]، وقد أنشأت منذ وقت مبكر الهيئة الدينية الاسلامية الحاكمة وخصتها باختصاصات واسعة ورصدت لها موارد مالية ضخمة وكان لشيخ الاسلام اجلال وكبير كبيران ويحظى بمكانة عليا ومركزه يضاهي مركز الصدر الأعظم.

كانت الدولة العثمانية حريصة على التطبيق الصارم للشريعة الاسلامية من جهة، وعلى الحفاظ على مكانتها في المجتمع من جهة أخرى وكانت تؤكد على الالتزام الدقيق بمبادئ الشرع بإصدار قوانين مستمدة من الجين الاسلامي وخاصة في عهد سليمان القانوني الذي أصدر قانون "نامه" الذي كانوا يرون فيه القانون الذي يتفق مع الشريعة الاسلامية، كما أكدت الدولة العثمانية على اهتمامها بالجانب الديني باشرافها على الحج باعتباره الركن الخامس من أركان الدين الاسلامي وأن على الدولة تيسيره أمام الراغبين في أداء هذه الفريضة، وقامت بإنشاء الآبار على طول الطرق المؤدية الى الحجاز واقامة حصون لحراستها وتشييد الخانات وفي هذا الاطار كانت هناك أربع قوافل حج رئيسية في الدولة العثمانية تتحرك في مواعيد محددة برفقة قوة عسكرية يقودها أحد كبار العسكريين يسمى سردار الحج و كل قافلة ترأسها شخصية كبيرة تسمى أمير الحج. [2]

فالدولة العثمانية دولة دينية وصلاتها بالإسلام قديمة وقد حددت الاسلام كعقيدة دينية رسمية منذ عهد الأمير عثمان الذي كان متحمسا كثيرا للإسلام وأخضع حكمه لمشورة الفقهاء المسلمين وسار السلاطين العثمانيون على نهجه فيما بعد فكانت كل فتوحاتهم باسم الإسلام وليس هناك أدل على ذلك من فتح القسطنطينية التي حولوها الى اسطنبول اي مدينة الاسلام، كما ساعد العثمانيون باسم الاسلام سكان شمال افريقيا ضد الاسبان و قضوا على القواعد العسكرية الأوروبية هناك وحافظوا بذلك على عروبتهم وعقيدتهم الاسلامية والسلطان نفسه كان يفضل أن يلقب بخليفة المسلمين.

---

[1] البر أورتايلي ، م.س ، ص 23

[2] - سليمان دهان، تنظيم ركب الحج خلال العهد العثماني بين تلبية المقدس والتواصل الحضاري، مجلة أفكاروآفاق، العدد 09، السنة 2017، ص.16.

مظاهر الطابع الديني للدولة :

العناية بإنشاء الكثير من المساجد الكبرى حيث حول مثلا محمد الفاتح كاتدرائية القديسة صوفيا إلى مسجد، ولم يكتف بذلك في اسطنبول بل بنى مسجدا كبيرا في قلب العاصمة على أنقاض الكنيسة الرسولية التي كانت تستخدم كمدفن للأباطرة أطلق عليه اسم جامع السلطان محمد الفاتح أو الجامع المحمدي، ولما تولى السلطان سليمان القانوني الحكم سنة 1550 بنى مسجدا عظيما في اسطنبول أصبح من أجمل و أروع المساجد في الدولة، ثم مسجد أخر شيده السلطان أحمد الأول سنة 1617، وازدادت المساجد الكبرى في المدن العثمانية مثل بورصة ودرنة ورصدت الدولة أموالا ضخمة لبناء المساجد مراعاة للشعور الديني للرعايا العثمانيين وامتد الاهتمام بالمساجد حتى إلى الولايات العثمانية الاسلامية مثل مصر (مسجد سليمان باشا في القلعة، مسجد المحمودية، مسجد سنان باشا، مسجد الملكة صفية).

من المظاهر الأخرى للطابع الديني للدولة العثمانية اهتماماتها بمخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم والتي أهديت للسلطان سليم الأول أثناء اقامته بالقاهرة في مصر من قبل أمير مكة الشريف بركات كرمز لدخول الحجاز تحت السيادة العثمانية، وحملها سليم الأول الى اسطنبول وحفظت في خزانة قصر طوب كابي وأطلق عليها اسم الأمانات المقدسة والتي تضم بردته وسجادة صلاة والبيرق النبوي وقوسا وسهما، وحدوة فرس وسن من أسنانه وشعيرات من لحيته، وحجرا يحمل أثر قدمه، ومفاتيح الكعبة ونسختين من القرآن الكريم يقال انهما كانتا للخليفة عثمان وعلي اضافة الى أسلحة وأدوات وثياب يقال انها كانت للأنبياء السابقين والخلفاء والصحابة، ونضيف الى هذه المظاهر أيضا اقامة حفل ديني في منتصف شهر رمضان كل عام.

2– التقاليد الدينية :

أ- استقبال شهر رمضان المبارك:

بعد رؤية الهلال من طرف شاهدين بالغين على الأقل يبدأ شهر رمضان المبارك، ويحرص السلاطين العثمانيون على أعطاء هذا الشهر قيمته الحقيقية من خلال إصدار توجيهات تحث على احترام قدسيته وضرورة التكافل والتضامن بين الرعايا، وعدم المساس بحرمة الشهر الفضيل. وقد تعود السلاطين العثمانيون على إصدار وثيقة هذه التوجيهات قبل خمسة عشر يوما من حلول شهر رمضان وكان من بنودها وفق ما ورد في بعض الكتابات:

- منع تناول الأطعمة والمشروبات في الشوارع قبل آذان المغرب.

- تأليف هيئة مراقبة الأسعار وأخرى لمراقبة مخترقي البنود وثالثة لتنظيم أوقات الامساك.

- بقاء أبواب القصور مفتوحة عند المغرب ليتمكن من يشاء من الدخول للإفطار مسلما كان أو غير مسلم. [1]

وإذا دعا صاحب الدار مدعوين من الفقراء يقدم لهم هدية بعد الإفطار لاستجابتهم للدعوة، كما حرص العثمانيون على ملأ خزانات المياه العامة في الشوارع بعد الإفطار عصائر، وكان من عادة الأثرياء في المدن العثمانية فتح أبواب منازلهم طوال الشهر لإطعام أي شخص في حاجة الى ذلك من غروب الشمس الى بزوغ الفجر. [2]

فالمسلمون في كامل أرجاء الامبراطورية تراهم يبتعدون عن كل مبطلات الصوم، وعند الغروب يأخذون أشياء خفيفة، أو حبات من التمر مع شرب ثلاث رشفات من الماء، بعد تلاوة دعاء الإفطار، ثم أكل وجبة الافطار على الفور حتى لا يتم تقليد اليهود الذين يمتنعون طويلا عن الأكل.

كان للدولة العثمانية تقاليد إسلامية حافظت عليها و حرصت على استمرارها منها : عدم السماح لأي كان مهما كان مركزه ومهما كان مسلما أو غير مسلم بانتهاك حرمة شهر رمضان، و كان يعاقب كل من ينتهك هذه الحرمة بالضرب أو التجريس. ويقصد بالتجريس حلق نصف لحيته ونصف شاربه ووضعه على ظهر حمار ووجهه متجه إلى ذيل هذا الحمار ويقبض بيده على ذنب الحمار، ويعممون هذا الشخص بمصارين ذبيحة ويضعون على كتفيه كرشها أو جلدها ويطوفون به على هذه الصورة الشوارع والطرقات، ورجال أشداء يصفعونه ويضربونه بالنعال ويجمعون حوله الصبية يصرخون ليجتمع حوله الكثير من الناس وبعدها يوضع رهن الاعتقال .

ب- سخاء الأغنياء الشديد و خلقهم الحميد : حيث كان الأغنياء العثمانيون حريصين على تقديم الصدقات دون التسبب بإحراج الفقراء حيث يذهبون إلى البقالة وغيرهم من الباعة و يسددون ديون هؤلاء الفقراء دون ذكر إسمهم، مما يجعل هؤلاء الأخيرين يشعرون بالسعادة كما كان الكبير يحترم في عهد الدولة العثمانية حيث لا يمكن للصغير أن يسبقه في الطريق حتى وان كان في أمره عجلة، كما يوقر هذا الصغير من قبل الكبار ويحترم رأيه تطبيقا لما نصت عليه الشريعة الاسلامية ...

[1] عدنان عبد الرزاق، تركيا تستعيد طقوس رمضان العثمانية، مجلة العربي الجديد'، لندن، العدد 1379، السنة الرابعة، 2018/06/11، ص.19.
[2] نفسه، ص.19.

ج- عادات الاحتفال بعيد الأضحى:

يبدأ العيد بالمدفع الذي يطلق يوم عرفة، وتنتهي الاحتفالات بعد سماع أصوات المدفع الذي يطلق بعد آذان العصر في آخر أيام العيد.

في يوم عرفة تقرأ الفاتحة على روح الموتى، وباقتراب موعد صلاة العيد يرتدي الرجال ملابس العيد متجهين للمساجد، لأداء الصلاة وتبقى النساء في البيت لتحضير فطور العيد.وبعد الصلاة تنحر القرابين على وطأة طلقات البارود وتبدأ الاحتفالات بالعيد. [1]

ومن عادات العثمانيين زيارة المقابر تعبيرا عن حبهم واحترامهم وعدم نسيانهم لأجدادهم في هذه المناسبة، على مدار العيد يتجول الأطفال في الشوارع ويلعبون بها طارقين الأبواب لنيل الحلوى والهدايا ، وكان يطلق عليهم "زهور يوم عرفة".

وكانت الدولة العثمانية تنظم الاحتفال بعيد الاضحى في قصر "طوب قابي"حتى نهاية القرن 19م ، حيث بداية من سنة 1867م نظمت الدولة احتفالاتها بقصر "دولما بهجة" [2]، وفي عهد السلطان عبد الحميد نظمتها في قصر "يلديز" [3] .

كان السلطان يصلي عادة في مسجد السلطان أحمد قرب آيا صوفيا، ويضحي بأربعين أضحية، اول أضحية ينحرها بنفسه، ثم يتوجه الى غرفة الضيافة لاستقبال المدعوينن وتقسم لحوم أضاحيه على طلاب المدارس(الكتاتيب) والأرامل والجنود والحراس، وتبدأ أغاني المهتر. [4]

د-عادات احياء ليلة المولد النبوي الشريف:

كان السلاطين العثمانيون يولون أيضا اهتماما كبيرا للاحتفال بالمولد النبوي الشريف،ومن عادتهم أن يتم الاحتفال في أحد المساجد ليلة 12 ربيع الأول. في هذه المناسبة يحضر الى المسجد عظماء الدولة وكبراؤها بملابسهم الرسمية التشريفية وعلى صدورهم الأوسمة، ثم يقفون في صفوف منتظرين السلطان. يخرج هذا الأخير من قصره راكبا جوادا من خيرة الجياد بسرج من الذهب الخالص، وحوله موكب فخم ترفع فيه الأعلام، يسير هذا الموكب بين صفين من الجنود وخلفهما الناس، ثم يدخلون المسجد ويبدأ الإحتفال بقراءة القرآن، ثم

---

[1] وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص ص.118-119.

[2] دولمة بهجة: قصر يقع في منطقة باشكتاش باسطنبول، على الساحل الاوربي من مضيق البوسفور، تم تشييده عام 1843م، كان المركز الاداري الرئيسي للامبراطورية العثمانية، من عام 1856م الى 1922م.

[3] قصر يلدز: يتكون من عدد كبير من الاجنحة والدور، يقع في اسطنبول، تم افتتاحه عام 1880، كان مقرا للسلطان عبد الحميد الثاني الى غاية سنة 1922م.

[4] المهتر: هي أقدم الفرق الموسيقية العسكرية ، تعود الى القرن13م، للعصر السلجوقي، وكانت ترافق الجيش العثماني في معاركه، وتعزف ألحان الهجوم أو الاستعداد أو الانسحاب.

قراءة قصة مولد النبي عليه الصلاة والسلام، وفي الصباح الموالي يأتي كبار الدولة لتهنئة السلطان.[1]

وللتذكير فقد ورد عن أحد الباحثين أن أول احتفال بالمولد النبوي الشريف في الدولة العثمانية كان في عهد السلطان مراد الثالث سنة 1595م، وشاع فيه تزيين المآذن بالقناديل وأوقف الاحتفال بجميع الأعياد الاسلامية في عهد مصطفى كمال (أتاتورك) سنة 1923م.[2]

وبغض النظر عن الطابع الرسمي لهذه الاحتفالات الدينية كلها في الدولة العثمانية، فان الطابع الشعبي لها في جل الإيالات الاسلامية يكاد يكون متشابها.

[1] أميرة طاهر، مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي في الدولة العثمانية، جريدة أخبار مصر، القاهرة، 30-11-2017

[2] اسماعيل سامعي، الاحتفال بالمولد النبوي ، جريدة النصر ، الجزائر، 02-11-2018

المحاضرة التاسعة

الاحتفالات والمراسيم في المدن العثمانية –مدينة الجزائر نموذجا-

لم تقتصر الاحتفالات وما تتبعها من مراسيم على مدينة من المدن بقدر ما كانت شاملة لكل المدن العثمانية، وتكاد تكون هذه الاحتفالات متقاربة بينها، ومما عرف عن المناسبات المختلفة في شتى المدن اشتراك معظم فعاليات المجتمع العثماني مع الهيئات الرسمية في إحياء الاحتفالات، إضافة الى الشهرة التي اكتسبتها، ولعل أشهر هذه الاحتفالات في القرن 16م تلك التي أجراها السلطان مراد الثالث لختان ابنه ولي العهد شهزادة محمد، حيث استمرت 55 يوما و55ليلة. [1]

اشترك في هذه الاحتفالات سكان اسطنبول برمتهم والمدعوون من الأقطار الأجنبية وبعض السكان القادمين من خارج اسطنبول، وقد تضمنت فنونا وعروضا وزينات مدهشة. أما أعظم احتفال في القرن 17م فهو الذي جرى في أدرنة سنة 1675م حيث أجرى محمد الرابع ختان إبنه الكبير ولي العهد شهزادة مصطفى، أثناء زواج ابنته خديجه سلطان في نفس الوقت. وقدجرى معهما ختان 8000 طفل، 6000 منهم جلبوا من الاناضول. وأجرى عملية الختان 300 جراح. [2] وقد اشترك الجيش والبحرية في هذه الأفراح بآلاف الجنود، قاموا فيها بألعاب حربية كأنها معارك حقيقية، وقدمت فيها للسكان المأكولات والمشروبات على الموائد التي نصبت في الشوارع والميادين.

في المجال الرسمي كانت هناك احتفالات ومراسيم خاصة باستقبال السفراء مثلا، ولم تكن هذه الاحتفالات مقتصرة على المناسبات الدينية أو الاجتماعية كما رأينا في مسألة الختان.وفي هذا المجال كان ديوان خانة [3] يستقبل السفراء بإقامة حفلات ومراسيم خاصة نلخصها في النقاط التالية:

-إستقبال السفير رفقة مرافقيه عند نزوله من الباخرة بإطلاق طلقات مدفعية ترحيبا بهم

[1] علي الكاتبي القزويني، م.س، ص.580.

[2] حسين هزارفن، تلخيص البيان في قوانين آل عثمان، غالاند أنطوان، اسطنبول، 1686، ص.166.

[3] خانة: كلمة فارسية معناها الدار، وأصبح المعنى دار مجلس الديوان.

- حضور باشاوين مع حوالي 50 فردا من حرس الجاووشية [1] لمرافقة السفير الى البلاط

- احضار الخيول في أروع زينتها مع الخدم الاتراك المخصصين لغمساكها حين نزول السفير وحاشيته.

- تنظيم خط سير موكب السفير على النحو التالي:

كتيبة الجاووشية في الأول، ثم رجال السفير ماشين على أقدامهم وكلهم في صفوف اثنين اثنين، وأخيرا السفير مع قائد الجاووشية والترجمان وأربعة من الانكشارية.

--بالوصول الى القصر يمر أولا بالبوابة الكبيرة في صحن واسع وهنا ينزل مع مرافقيه ويتركون خيولهم ثم يمرون الى صحن أفخم من الأول أين يستقبلون من رجال البلاط الذين يصطفون في أبهة عظيمة.

في الجانب الايمن من الصحن رواق يقف فيه الحرس في صفوف بملابس أنيقة، على رؤوسهم خوذات من النحاس تعلوها حزمة من الريش، وفي الجانب الأيسر القابوجية [2]والجاووشية، معظمهم يلبسون ملابس ذهبية وفضية ورؤوسهم مائلة مع قليل من الانحناء لتحية السفير.

بعد مراسيم الاستقبال هذه يأتي قادة حرس الجاووشية لأخذ السفير الى الديوان أين يجد الوزير الذي يستقبله بدوره بكثير من المجاملة، وبعد تبادل الكلام في شتى القضايا ينقل الى قاعة ملاصقة للديوان لتناول الغذاء رفقة مرافقيه. وكانت مائدة الغذاء تضم حوالي مائة صنف من الأطعمة، ويشرف على خدمة الضيوف حوالي 40 فردا من الجاووشية . [3]

هذه مجموعة من النماذج التي كانت تطبق في بعض المدن التي اخترناها للتوضيح ومنها مدينتي اسطنبول و أدرنة وقد حاولنا التركيز في هذه المحاضرة على مدينة الجزائر العثمانية كنموذج لهذه الاحتفالات والمراسيم.

---

[1] جاووش: معناه الرسول، والجاووشية فرقة خاصة من الجنود، كانوا يوجهون بالرسائل الى السفارات أو الى الأقاليم، ثم اقتصرت مهمتهم في خدمة السلطان في القصر ومصاحبته عند خروجه في العاصمة كجنود التشريفات. ينظر: علي همت الأقسكي، العاهل العثماني أبو الفتوح السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطنية وحياته العدلية، دار النشر: محمد سامي أمين الخانجي، القاهرة، 1953، ص.185.

[2] القابوجية: قابجي باشي أة قابوجي، كلمة تركية معناها بواب ويسمى رئيس القابوجية قابوجي باشي، ووظيفتهم مراقبةأبواب البلاد أو ديوان الوالي، ويرشدون المراجعين الى الطرق التي يسلكونها في البلاط. ينظر: عبد الله بن أحمد بن حسن، المنهاج في بيان أحكام العشر والخراج، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ص.17.

[3] برنارد لويس، اسطنبول وحضارة الخلافة الاسلامية، تعريب سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر، الرياض، ص.103.

الاحتفالات والمراسيم بمدينة الجزائر العثمانية

1- إحتفالات عيد الفطر:

كان العثمانيون يسمون عيد الفطر "سكر بيرام" (Seker Bayram) أي عيد السكر بسبب تبادل الهدايا فيه وقطع الحلويات المصنوعة من السكر[1]1،أما مراسيم الاحتفال بهذا العيد فيقول عنها "هاينسترايت": "عند رؤية هلال العيد ينقل الخبر على جناح السرعة الى الداي ليأمر بإطلاق المدافع إعلانا بانتهاء شهر رمضان وحلول العيد، وجرت العادة في صبيحة اليوم الأول من العيد أن يذهب الناس الى إلقاء السلام وتقديم التهنئة للداي." [2] وتوجه الدعوة الى قناصل الدول للمشاركة في الاحتفالات، ولكن ليس كممثلين لدولهم وإنما لتقديم تحياتهم للداي والثناء على قوته وعظمته [3]

وورد عن أبي العيد دودو أنه كان في باب الواد بمدينة الجزائر ميدان فسيح يقوم فيه تركي عجوز بإدارة عجلة كبيرة وفوقها عدد من الاطفال يمرحون ويضحكون [4]4 ونقلا عن "فاغنر" فإن الناس كانوا يستيقظون على أنغام موسيقى صاخبة يعزفها السود وهم يرتدون أجمل الثياب، وبأيديهم الطنابير والصفائح الحديدية، وهم الذين كانوا يوقضون الداي من نومه صبيحة العيد، ويعزفون موسيقاهم في فصر القصبة مثلما يفعلون في مناطق أخرى وتقدم لهم على ذلك الهدايا. [5]

إحتفالات عيد الأضحى:

عيد الأضحى كان يسمى عند العثمانيين "قربان بيرامي" (Kurben Bayrami) أو "كويوك بيرامي" (kuyuk Bayrami) . تبدأ مراسيم الاحتفال بعيد الأضحى بإطلاق نيران البنادق بعد بزوغ الفجر، وينهض الناس لتحضير أضحياتهم قبل الذهاب الى صلاة العيد، حيث يقومون بغسل الأضحية بدءا بوجهها ثم كمامتها بالماء و الرائحة مع البخور، أما الداي فيستقبل التهاني والهدايا من أعضاء حكومته وممثلي الحكومات الأجنبية المقيمين في

---

[1] وليم سبنسر، م.س، ص120.

[2] ج.أو.هاينسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو هاينسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس، 1145ه/1732م،ط1، ترجمة وتحقيق وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2007، ص.48.

[3] وليم شالر، مذكرات وليم شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824م، تعريب وتعليق وتقديم اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص.67.

[4] أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، م.و.ك، الجزائر، 1989، ص.118.

[5] نفسه، نفس الصفحة.

العاصمة، ثم يذهب الى جامع الحواتين [1] أين تقام صلاة العيد، وحسب هايدو يكون الداي مصحوبا بطلقات البنادق والموسيقى العسكرية، وبعد الصلاة ينحر أضحيته، ثم ينحر بعده الناس خرافهم [2] ولما يعود الى القصر تفتح الأبواب للناس ويقدم الكسكس واللحم لجميع الحاضرين. [3]

مراسيم تنظيم فريضة الحج:

كان للحج خصوصياته في الجزائر في الفترة العثمانية، فعندما يحين وقت الحج يقوم الداي باستدعاء المجلس العلمي لمدينة الجزائر والذي يعقد اجتماعا احتفاليا رسميا، يشارك فيه وكيل الحرمين الشريفين، والذي يسلم للمفتي الصدقات المخصصة لفقراء مكة والمدينة، مع هبات كبار موظفي الايالة . [4]

وكان من عادة الحجاج أن يلبسوا ملابس خاصة تشمل اثنين من لفاف الصوف واحدة في الوسط والثانية فوق أكتافهم، يدخلون بها الأراضي المقدسة تحت قيادة أمير الحج الذي يعينه الداي وفق شروط لابد من توفرها فيه كالاستقامة وسعة العلم لأنه سيلتقي بجل علماء الدول الاسلامية، ويتبادل معهم التآليف والاجازات، ويشارك في المناضرات العلمية. [5] وقد تعددت الشخصيات التي تولت منصب أمارة الحج في الجزائر في العهد العثماني ومنها: محمد بن محمد بن المسعود الذي ذكره العياشي في رحلته [6]6، وعبد الكريم الفكون المتوفى سنة 1662م.

وقد بقيت إمارة الحج في عائلة الفكون لفترة طويلة، وكان آخر أمير منها محمد بن عبد الكريم بن بدر الدين. [7]

هذه بعض المناسبات التي اكتفينا بسردها والتي عرفت بها مدينة الجزائر العثمانية وقد يتسع المجال مستقبلا للتفصيل أكثر فيما تبقى من الاحتفالات التي كانت تنظم في المدينة وخاصة الاجتماعية منها.

---

[1] جامع الحواتين: هو ما يعرف بالجامع الجديد الذي كان يسمى عند العثمانيين (يكي جامع)، وهو من بين أقدم مساجد مدينة الجزائر، يقع في ساحة الشهداء ويعود تشييده الى الفترة العثمانية، في عهد الداي مصطفى باشا سنة 1660م من طرف معماري يسمى الحاج حبيب، كان يعرف أيضا بجامع المسمكة لقربه من البحر والمسمكة. ينظر: رشيد دوكالي، مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني، ترجمة لطيفة بورابة وشفيقة عيساني، موفم، الجزائر، 2013، ص.124.

[2] Haedo, Topographie et histoire générale d'Alger, traduit de l'espagnol par Monnerau et Berbrugger, imprimerie Valladolid, 1870, pp.144-145.

[3] وليم سبنسر، م.س، ص ص.120-121.

[4] Pierre Boyer, l'administration française et la réglementation du pèlerinage à la Mecque 1830-1894, Revue d'histoire Maghrébine, 1997, p.275.

[5] سليمان دهان، م.س، ص. 61.

[6] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية (1661-1663)، تحقيق سعد الفاضلي، ج 1، دار السويدي للنشر، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة .

[7] سليمان دهان، م.س، ص.26.

المحاضرة العاشرة

المدينة العثمانية -استانبول نموذجا-

بدأت الدولة العثمانية منذ 1299م بعدد قليل من المدن كان أولها "سوغوت" و"أسكي شهر" في عهد عثمان الاول، ثم عرفت الدولة مرحلة هامة من الفتوحات التي استمرت الى عام 1566م تقريبا، ودخلت تحت سيطرة العثمانيين مدن كثيرة كان بعضها في آسيا والبعض الآخر في أوربا وأخرى في افريقيا.

شهدت المدن العثمانية تطورا كبيرا مع مرور الوقت بفعل حركة الهجرة، ولعل من أشهر المدن العثمانية التي نوردها هنا على سبيل التوضيح فقط : بورصة التي استولى عليها أورخان واتخذها عاصمة له في المرحلة الأولى من عمر الدولة العثمانية، ثم مدينتي نيقية وإزمير، وأنقرة التي استولى عليها مراد الأول عام 1360م وأدرنة التي نقل اليها عاصمته سنة 1362م، وبعض المدن الأوربية مثل صوفيا، سالونيك وكوسوفو في البلقان، لتأتي بعدها آلاشهر في عهد بايزيد الاول، القسطنطنية في عهد محمد الفاتح منذ 1453م والتي أتخذت عاصمة للدولة الى غاية زوال الامبراطورية، دون إغفال مدن أخرى ذات أهمية كبيرة كالقدس ودمشق والقاهرة وتونس والجزائر وطرابلس وغيرها من المدن التي لا يسع المجال لذكرها كلها.

وقد اعتنى العثمانيون بعواصمهم عناية فائقة، فجعلوا من مدن بورصة وأدرنة والقسطنطنية مراكز صناعية وتجارية مهمة في العالم عندما بلغت الدولة ذروة مجدها وقوتها، وكانت هذه المدن رفقة مجموعة أخرى من المدن خاصة العربية أكثر رفاهية. وما يلاحظ على المدينة العثمانية عموما أنها كانت في القرن 16م أقل سكانا مما أصبحت عليه في القرن 17م، حيث بدأ النزوح الريفي يشتد منذ هذا الأخير مما زاد من توسعها العمراني.[1] ورغم الازدحام السكاني الذي عرفته جل المدن إلا ان الرخاء استمر بها الى غاية القرن 19م، حيث كانت أسعار المواد الغذائية منخفضة، وكانت المنازل بدورها رخيصة الثمن كما كانت قيمة الايجار متدنية جدا، ولم تعرف صعوبات تذكر الى أن قامت الحرب العالمية الأولى التي أصبحت الحالة الاجتماعية بسببها سيئة للغاية [2]

من بين بعض خصائص المدينة العثمانية أن البيوت في الأناضول كانت خشبية في معضمها والبعض حجرية، وأحيانا مزيج من الاثنين، أما الأبنية العسكرية والدينية فكانت كلها حجرية، معضمها بها حديقة، البوابة الخارجية مستقلة، ولا يوجد نظام عمارات.

---

[1] علي الكاتبي القزويني، م.س، ص 585.

[2] نفسه، ص.586.

البيوت كانت تنقسم الى قسمين: للنساء (حرم) وللرجال (سلاملك)، ويستقبل رب البيت ضيوفه في السلاملك، أما في البيوت الصغيرة فيخصص الطابق الأول لاستقبال الضيوف والثاني للنوم [1] .

شوارع المدن العثمانية عموما كانت نظيفة، حيث ينظف كل واحد القسم الذي يكون أمام بيته، وشوارع جميع المدن تحتوي على أرصفة يعتنى بها باستمرار، ومقارنة بين المدن الواقعة في محيط القسطنطنية فإنها تقريبا كانت من حيث الرفاهية قريبة من رفاهية إسطنبول الى غاية القرن 19م، فمثلا طرابزون حتى سنة 1834م كانت مركزا تجاريا هاما، حجم معاملاتها يفوق 100 مليون ليرة ذهبية، وكانت مركزا لصناعة منسوجات الكتان، وتبيع الكتان والبندق والتبغ الى الأقطار الممتدة من الهند الى أوربا. بدورها بورصة كانت مركزا لصناعة الحرير وكان تجاره يسددون للدولة تفوق 35 مليون دولار وهو ما يعادل حوالي 5.4 مليون أقجة [2]. وبدأ التوازن يختل بين المدن العثمانية في القرن 19 والقرن 20م.

مدينة إستانبول: نبذة عامة

التعريف بالمدينة:

كانت مدينة اسطنبول الحالية معروفة تاريخيا بأسماء عديدة منذ القديم، فالسلاف كانوا يسمونها "زار غراد" ومعناها مدينة الامبراطور، ويسميها سكان شمال أوربا "ميكالاغارد" أو "ميكل غارث"ومعناه البرج العظيم، وسماها اليونانيون والرومان "بيزنطة" كما عرفت عندهم باسم "روما الجديدة"، إضافة الى اسم "مدينة القسطنطين" (قسطنطينوبولس) نسبة الى الامبراطور الذي أنشأ عاصمته هناك سنة 330م. واسم "القسطنطنية" استعمله المسلمون وراء الحدود الشرقية والجنوبية للامبراطورية. [3]

الإسم إستنبول - حسب برنارد لويس – مشتق من شبه الجملة (Eis Ten Polin) ومعناه : (إلى المدينة)، وربما كما يقول سمعه المسلمون من جيرانهم اليونانيين، ولم يستعمل بشكل رسمي من طرف العثمانيين إلا في سنة 1930م، حيث حافظ السلاطين العثمانيون على إسم "قسطنطنية" وأضافوا اليه أسماء أخرى مثل: "الآستانة"، "دار السعادة"، ومصطلح

[1] علي الكاتبي القزويني، م.س ص.581.

[2] أقجة: عملة عثمانية فضية ، سكها الغازي أورخان سنة 1327م وكانت تساوي 1/4 بارة (البارة ضربت في عهد مراد الرابع، وزنها يزيد عن خمسة قراريط من الذهب، أوقف التعامل بها سنة1832 لتستبدل بالقرش الذي كان يساوي 03 أقجات). ينظر: محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118، جامعة دمشق، 2012، ص.ص.362-366.

[3] برنارد لويس، م.س، ص.11.

"اسلامبول" ومعناه: العامرة بالإسلام لم يظهر إلا لفترة في بعض الوثائق العثمانية والعملات النقدية، وهوتحوير لكلمة "استنبول".[1]

كانت استنبول تاريخيا عاصمة لعدد من الدول والإمبراطوريات –حسب ما ورد في بعض الكتابات- وذلك على النحو التالي:[2]

- الامبراطورية الرومانية (395-330 ق.م)

-الامبراطورية البيزنطية (330 ق.م-1204م)

- الامبراطورية اللاتينية (1204-1261م)

- العودة تحت الامبراطورية البيزنطية (1261-1453م)

- الامبراطورية العثمانية (1453-1922م).

وهذه المدينة تقع جغرافيا في الشمال الغربي من تركيا الحالية، يفصلها مضيق البوسفور الذي يربط الجزء الاوربي والجزء الآسيوي، وبالتالي فهذه المدينة هي الوحيدة التي تقع بين قارتين.

فتح العثمانيين للمدينة:

تم فتح المدينة يوم الثلاثاء 29 ماي 1453م بعد حصارضخم من طرف محمد الفاتح[3] بجيش عظيم . بدأ الحصار منذ 06 أفريل 1453م بحوالي 80 ألف مقاتل (60 ألف فارس و20 ألف مشاة)، وكان بها ثلاث أسوار منيعة، خلفها حوالي ثماني فرق عسكرية تضم ما يقارب ثمانية آلاف جندي، يساعدهم أسطول صغير في القرن الذهبي الذي تحميه سلسلة حديدية ضخمة عبر المدخل.[4]

استعملت القوات العثمانية مدافع ضخمة لضرب أسوار المدينة، وأسطول من مئات السفن الحربية في مضيق البوسفور، وتم إنزال حوالي 80 سفينة في القرن الذهبي وطوقت المدينة من جهاتها الثلاث، وبعد دفاع مرير من المدافعين خلف الاسوار، تم فتحها وقتل آخر

---

[1] برنارد لويس، م.س، ص.12.

[2] نفسه، ص92.

[3] محمد الفاتح: هو محمد الثاني بن مراد الثاني سابع السلاطين العثمانيين، تولى الحكم وعمره 22 عاما وحكم 30 سنة (1451-1481)، اشتهر بالفاتح لفتحه القسطنطنية، وكانت له فتوحات أخرى في أوربا الشرقية واليونان وشبه جزيرة القرم، كان عالما وشاعرا الى جانب كونه قائدا عسكريا طموحا . كان يجيد عدة لغات شرقية وأوربية (التركية- العربية – الفارسية- اليونانية- اللاتينية والسلافية)، له ديوان شعر مطبوع بالتركية. ينظر: سيد رضوان علي، السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الاسلامي في أوربا الشرقية، الدار السعودية للنشر، الرياض، 1982، ص.ص 10-14.

[4] سيد رضوان علي، نفسه، ص.24.

أباطرتها (باليوجوس دراغاسيس)، [1] ودخل السلطان محمد الفاتح المدينة من باب "طوب قابي". [2] وأصبحت منذ ذلك الحين عاصمة للإمبراطورية العثمانية، وأضحى قصر طوب قابي مقرا للسلاطين العثمانيين حتى القرن 19م، هذا القصر الذي يحيط به سور عالي قوي، عليه عدة أبراج للمراقبة وله بوابات عدة، البوابة الرئيسية تفتح نحو المدينة، وهي التي تستعمل للدخول والخروج يوميا، تحرسها فرق من القابوجية، والبوابات الثلاث التي تؤدي الى المباني داخل القصر هي: الباب السلطانين الباب الاوسط، وباب السعادة. [3]

المعالم المعمارية والحضارية والأثرية في استنبول:

استنبول معروفة بالعمارة العثمانية ولكن بها معالم أثرية تعكس الحضارات القديمة، فهي مشهورة بجوامعها وقصورها ومبانيها الإسلامية، ترافقها الكنائس والمعابد الأخرى، ومن بين أشهر المنشآت نذكر:

- المتاحف:

1- متحف أيا صوفيا: [4] أثر تاريخي هام في منطقة السلطان أحمد، كان لمدة 916 عاما كنيسة وتحولت الى جامع لمدة 481 سنة، ومنذ عام 1935 أصبحت متحفا وهو يجمع بين الحضارة الاسلامية والحضارة المسيحية، ويضم كتابات عربية لشخصيات إسلامية وآيات قرآنية وبالمقابل صورا للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام وأمه.

2- متحف قصر طوب قابي: [5] مصمم على طراز العمارة الاسلامية العثمانية من حيث القباب والأقواس والأعمدة والرواق والجدران المزينة بالفسيفساء والرسوم والأشكال الملونة، يحتوي على العديد من القاعات والغرف، ومن أهم ما يحتويه:

- مكتبة السلطان أحمد الثالث: تم إنشاؤها عام 1719م من قبل السلطان أحمد الثالث.

- قسم السلاح (الخزينة الخارجية): بناء مسقف بثماني قباب، أنشئ في عهد السلطان سليمان القانوني، كان يستخدم لخزن إيرادات الدولة من الضرائب، وهو اليوم يستعمل لعرض الاسلحة المستعملة في عصور مختلفة من القرن السابع الى القرن 20م.

---

[1] معروف بقسطنطين 11 ، حكمت أسرته لمدة قرنين من الزمن (1261 – 1453)، ينظر: برنارد لويس، م.س، ص22.

[2] طوب قابي: معناها باب المدفع، وسميت بهذا الاسم لأن الاتراك كانوا قد نصبوا أمامه مدفعا ضخما ظل يدك السور المواجه له، وكان إسمه قبل الفتح باب سان رومان (Saint Romanus) وبعد الفتح بسنوات بنى السلطان محمد الفاتح قصره في هذا المكان وأصبح يعرف بسراي طوب قابي، وهو حاليا متحف. ينظر: برنارد لويس، م.س، ص.23.

[3] برنارد لويس، م.س، ص.100.

[4] أيا صوفيا: معناها الحكمة الالهية، أطلق هذا الاسم يوستينيانوس الامبراطور البيزنطي على كنيسة بناها عام 537م ، وهي الآن مكان سياحي وتاريخي هام، تقع في الجزء الأوربي من إستنبول في منطقة السلطان أحمد ويذكر ابن بطوطة أن المعماري الذي بناها هو أصف بن برخاء وأنها من ضخامتها أشبه بمدينة يحيط بها سور ولها 13 بابا. ينظر: كمال محمد جاه الخضر، مدينة القسطنطنية في كتابات الرحال الإفريقي العربي ابن بطوطة، ددط، د.س، ص.61.

[5] منذر بكر وقاسم العبيدي، إستنبول ألق الماضي، عبق وجمال الحاضر وإشراقة المستقبل، مجلة فيلادلفيا الثقافية ، جامعة عمان، العدد 08، 2011، ص.91.

- قسم الزجاج والفخار: تعرض فيه التحف الأثرية من الفخار المحلي والصيني.

- قسم الجلباب: يحتوي على الملابس والأقمشة المنسوجة خصيصا لسكان القصر ومنها:

ملابس السلاطين العثمانيين مثل السلطان محمد الفاتح وسليمان القانوني وأحمد الأول وعثمان الثاني ومراد.

- مقصورة بغداد: بنيت عام 1640م في عهد السلطان مراد الرابع فوق مخطط بثماني أضلاع، يحيط بالمقصورة رواق وضع على 22 عمودا.

- مقصورة ريوان: بنيت عام 1635م من طرف مراد الرابع وهي عينة مصغرة لمقصورة بغداد بثمانية أضلاع وغرفة واحدة تعلوها قبة.

كما يحتوي قصر طوب قابي على آثار إسلامية هامة منها: سن الرسول صلى الله عليه وسلم والذي كسر في غزوة أحد، والصخرة التي وطأتها قدم الرسول صلى الله عليه وسلم وبقيت أثرها عليها أثناء المعراج، والتي تسمى " نقش القدم الشريف"- الراية الشريفة السوداء المسماة (العقاب) – مزراب الكعبة الخشبية الملبسة بالذهب – ختم السعادة التي وجدت في بغداد وجلبت الى إستنبول – صخرة التيمم التي قيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستخدمها بالتيمم – الرسائل التي أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم الى الفرس ومصر وبيزنطة في بداية نشر الدعوة – المصاحف الشريفة و20 من السيوف المسماة " السيوف الشريفة" والتي تعود الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعثمان وأبي بكر الصديق وخالد بن الوليد والزبير بن العوام. [1]

الجوامع:

من أشهرها :

1- جامع السلطان أحمد (المسجد الأزرق) :

هو أحد أشهر المساجد في استنبول بني من طرف السلطان أحمد الأول بين عامي 1609 و1616م حسب إحدى النقوش الموجودة على أحد أبوابه، وهو يقع غرب آيا صوفيا وجنوب ميدان السباق البيزنطي القديم، يوجد بداخله فسيفساء أزرق مما أعطاه اسم "المسجد الازرق"وهذا المسجد يعد من أضخم المساجد في العالم الاسلامي.[2]

[1] -منذر بكر وقاسم العبيدي، م.س، ص.94.
[2] -مسجد السلطان أحمد، مطبوع من انجاز جمعية السلطان أحمد – استنبول، ص.02

المكان الذي بني فيه المسجد كان يسمى قصر الأباطرة، وكان هذا المكان قصورا ومنازل فاشتراها جميعا وهدمها وأسند مهمة البناء البالمعماري المشهور "صدفكار محمد آغا"، وتم افتتاحه رسميا في 09 جوان 1617م.

من ملحقات المسجد قصر صغير للسلطان، مدارس دينية، مستشفى، وسوق مغطن وحمام تركي ومطعم للفقراء، وسبيل ماء، ومرصد فلكي للتوقيت، وضريح السلطانن ومخبزة، وتكية لضيافة الفقراء وأبناء السبيل. [1]

2- جامع السليمانية:

يقع في قضاء السليمانية، شيد بين عامي 1550-1589م ويوجدبداخله ضريح السلطان سليمان القانوني وزوجته هاسيبكي، ويمتاز بأبوابه البرونزية الجميلة، وبداخله القباب والشبابيك ذات الزجاج الملون، إضافة الى الكتابات الغربية. [2]

3- جامع الفاتح:

تم الانتهاء من بنائه عام 1470م وهو يتكون من قبة كبيرة في الوسط ونصف قبة من جهة المحراب وقباب ثلاثية أقل ارتفاعا.

4- جامع دولما بهجة:

بني عام 1855م قرب قصر دولما بهجة، يتكون من مساحة مربعة تعلوها قبة على شكل نصف كرة ذات إرتفاع عالي، له مئذنتان طويلتان. [3]

وهناك جوامع أخرى في استنبول لايمكننا ذكرها كلها منها: جامع بايزيد، الجامع الجديد، جامع الفاتحية، جامع أورتاكوي...

القصور: استنبول مشهورة أيضا بقصورها التاريخية ومنها:

1- قصر دولما بهجة:

يقع في منطقة باشيكتاش وهو قصر مستطيل، مؤلف من 285 غرفة و46 قاعة استقبال و6 حمامات، له إطلالة على شاطئ البحر ب 600 متر ويتألف من ثلاثة أقسام هي: قسم

[1] مسجد السلطان أحمد، م.س، ص.05

[2] منذر بكر وقاسم العبيدي، م.س، ص.94.

[3] نفسه، نفس الصفحة.

الهمايون- غرفة المعايدة- والمساكن الخاصة، وفي وسطه قاعة الاحتفالات وهو مؤلف من طابق واحد.

2- قصر بيلارباي:

من الطراز المعماري الأوربي، يتألف من فيلات بحرية وغرف إستقبال وغرفة خاصة (المحرم)، يتألف من طابقين وبه 24 غرفة و06 قاعات كبرى. [1]

3- قصر كوجوك صهو:

يتألف من طابقين وهو مزين بشكل رائع، به ثلاثة أقسام وله واجهة بحرية واحدة وبابان [2]

الحصون :

أشهر حصن تاريخي من جملة الحصون المتواجدة باستنبول حصن روملي، وهو من الآثار التاريخية القديمة، يقع على مضيق البوسفور مقابل قلعة الأناضول وهو عبارة عن قلعة قديمة لها أربعة أبراج، ثلاثة كبيرة والآخر صغير، يربط بينها سور وقد حول في مرحلة من المراحل الى سجن وهو الآن موقع سياحي. [3]

[1] منذر بكر وقاسم العبيدي، م.س، ص.94
[2] نفس المرجع، نفس الصفحة.
[3] نفسه، نفس الصفحة.

المحاضرة الحادية عشر(11)

المؤسسات الاجتماعية في الدولة العثمانية (الوقف نموذجا)

شهدت المؤسسات الاجتماعية في الدولة العثمانية نموا متزايدا مع اتساع حدود الدولة، وقد تعددت هذه المؤسسات لتشمل الجوامع والعمارات والمستشفيات ومنازل القوافل والخانات والحمامات وسواقي السبيل والزوايا وما أوقف عليها كلها من أوقاف، وسنقتصر في هذه المحاضرة على إعطاء نبذة عن أشهرها مع التركيز في النهاية على الوقف كنموذج لهذه المؤسسات.

1- الجوامع:

كانت على رأس المؤسسات الاجتماعية، حيث كان الجامع في الدولة العثمانية يلعب دورا رائدا منذ تأسيس الدولة، فالسلاطين العثمانيون بادروا من البداية الى إنشاء هذه الجوامع، وكانت تمثل نماذج معمارية فريدة وعالية القيمة من أمثلتها: جوامع أورخان غازي ومراد الأول ويلدريم بايزيد وجلبي محمد ومراد الثاني في بورصة وأدرنة وإزنيق، وغيرها من الجوامع التي أنشئت في بقية أنحاء الدولة.

ومع اتساع رقعة الامبراطورية العثمانية إزداد انشاؤها في كل المناطق المفتوحة، ولعل من أشهرها جامع الفاتح وبايزيد والسلطان سليم والشهزادة والسليمانية ومحمود باشا ومراد باشا ونيشانجي وجاندرلي زادة وابراهيم باشا وصقوللي محمد في إستانبول. [1]

2- العمارات:

كانت عبارة عن أماكن يأوي اليها المحتاجون والمسافرون والأيتام وأبناء السبيل، يوفر لهم فيها الماء والطعام وكافة الاحتياجات. أول عمارة أنشأها أورخان غازي في إزنيق مع مدرسة، كما أنشأت أسرة جاندرلي في إزنيق أيضا ثلاث عمارات ليرتفع العدد فيما بعد إلى سبع عمارات. أما بورصة فكان بها 24 عمارة أقامها الوزراء والأمراء زيادة على عمارات أخرى أنشأها مراد الأول ويلدريم بايزيد ومحمد جلبي ومراد الثاني، ثم ساهم الأمراء في إنشاء العمارات في كافة أرجاء الامبراطورية خلال عهود محمد الفاتح وبايزيد الثاني وسليم الأول وسليمان القانوني. [2]

---

[1] محمود سيد محمد السيد، تاريخ الدولة العثمانية (النشأة والازدهار)، وفق المصادر العثمانية والدراسات التركية الحديثة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007، ص.441.

[2] محمود سيد محمد ، نفس المرجع، ص.442.

3- المستشفيات:

أول مستشفى أقيم في الدولة العثمانية كان ذلك الذي أنشأه يلدريم بايزيد عام 1399م في شرق مدينة بورصة، وحررت وثيقة وقفية له سنة 1399م. الطبيب الأول الذي عين به كان اسمه "شمس الدين الصغير"، ليصبح فيما بعد عدد الأطباء ثلاثة وصيدليان وملاحظا مرضى وطباخ وخباز، ومع استمرار الفتوحات ازداد إنشاء المستشفيات، ولعل أشهرها كان: مستشفى محمد الفاتح الذي بني عام 1470م قرب المسجد الأزرق باستانبول ومستشفى بايزيد الثاني في أدرنة والذي بنيت معة مدرسة للطب عام 1485م، ومستشفى خرم سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني، والذي بنته سنة 1539م، ومستشفى سليمان القانوني بجوار كلية السليمانية عام 1555م، واستمر إنشاء المستشفيات في كامل أرجاء الدولة العثمانية لما لها من أهمية إجتماعية. [1]

4- منازل القوافل والخانات:

المنازل كانت تقام على الطرق في المدن والضواحي ولم يكن بها حجرات، أما الخانات فكانت بدورها تنشأ على الطرق ولكن كانت بها حجرات تشبه حجرات الفنادق الحالية الى حد كبير.

هذه المنازل والخانات يتردد عليها المسافرون ويستفيدون من كل الخدمات مهما كان دينهم أو مذهبهم (أكل- شرب-نوم..) لمدة ثلاثة أيام، وكانت الدولة تخصص لها أفراد مناوبة لحماية قوافل هؤلاء المسافرين والتجار من الأخطار.[2]

5- الزوايا:

كانت تقع عموما في أطراف المدن والضواحي وفي القرى وعلى الطرق، وأصحابها يقومون بزرع الأراضي التي تمنح لهم حول الزاوية كوقف ويصرف دخلها على الزاوية، وكان لكل مسافر يأوي إليها مكان للنوم ويستفيد من الطعام والشراب. [3]

وهكذا يتضح لنا من خلال هذه النبذة حول هذه المنشآت الاجتماعية مدى حرص الدولة العثمانية على السهر دوما على تقديم كل الخدمات الضرورية التي يحتاجها رعاياها في كل أرجائها ودون تمييز.

---

[1] محمود سيد محمد السيد، م.س، ص.443.
[2] نفسه، نفس الصفحة.
[3] نفس المرجع، ص.444.

الوقف في الدولة العثمانية:

بعد تأسيس الدولة العثمانية أقيمت أول مؤسسة للوقف في عهد أورخان غازي (1324-1360م)، وغطت هذه المؤسسة جوانب من الحياة الاجتماعية ومنها الانفاق على طلبة العلم وتأمين الاقامة لهم، والاشراف على عمليات التدريب المهني لتكوين اطارات متدربة.[1]

أما النواحي التي كان يسيرها الوقف فكانت كثيرة ومنها: بناء المدارس، التدريب المهني، تقديم الأموال لليتامى والأرامل، رعاية الكبار والعجزة، تأمين الأموال للغارمين المدينين، تأمين إرضاع الأطفال، تجهيز البنات للزواج، تأمين حاجيات المسافرين، تأمين العمل للعاطلين، تزويج الشباب غير المتمكن من تسديد نفقات الزواج، شق قنوات المياه، إنشاء القناطر، بناء سبل المياه داخل المدن والطرقات الخارجية، بناء الخانات والحمامات والطرق وحفر الآبار، تقديم الطعام لأبناء السبيل والمسافرين والفقراء والمساكين، إطعام الطيور...[2]

هذه المهمات للوقف كانت سائدة في كل الولايات العثمانية، إضافة إلى مهمات أخرى كانت تقوم بها بعض المؤسسات الوقفية ومنها: توزيع الفواكه والخضر على المتعففين وتأمين الأواني التي يكسرها الخدم حتى لا يتعرضوا للعقاب من أسيادهم. وفي أواخر عهد الدولة العثمانية كانت الأوقاف تستغل في بناء دور المرضى لتقديم خدمات مجانية للمحتاجين، وكانت تؤمن أجور الأطباء والدواء وبذلك يظهر أن الأوقاف كانت تؤمن جميع مظاهر الحياة الاجتماعية [3] فالوقف كان حاضرا في حياة الانسان في الدولة العثمانية من ولادته الى موته حيث يمر في هذه الحياة بالكثير من المراحل التي يقضيها الفقير أو اليتيم أوغيرهما في مؤسسات وقفية كدور الولادة ثم مؤسسات الرعاية ثم المدارس الوقفية ثم مراكز التدريب ثم مؤسسات التمهين الوقفية كذلك، وصلاته في المساجد وهي وقفية الأن يموت ويدفن في مقابر وقفية، مما يبين أهمية الوقف في حياة البشر وهو ما أدركته الدولة العثمانية مبكرا.

نبذة عن انتشار الأوقاف في الدولة العثمانية:

لقد حوى الأرشيف العثماني حوالي 26 ألف وثيقة وقفا، بينت أن المساهمة في العمليات الوقفية لم تقتصر على الأمراء والسلاطين وزوجاتهم وكبار موظفي الدولة بل كانت أيضا

[1] محمود سيد محمد السيد، م.س، ص.464.

[2] عيسى القدومي، الوقف وسيرة الحياة- الخلافة العثمانية نموذجا- مجلة الفرقان الكويتية، العدد 657، الاثنين 10 محرم 1433ه/ 2011/12/5م، ص.41.

[3] نفسه، نفس الصفحة.

مساهمة المواطنين فيها كبيرة، ولم تقتصر الأوقاف على مركز الدولة وإنما شملت كل مناطق الامبراطورية بما في ذلك المناطق المفتوحة في أوربا المسيحية. وسنقتصر هنا على بعض النماذج من الأوقاف في بعض الولايات العثمانية لكثرتها.

استانبول:

2517 وقف، شملت المدارس- المساجد والجوامع- المستشفيات- الجسور- المكتبات والحمامات، وقد سبق لنا أن أعطينا نماذج عن هذه المؤسسات لما أشرنا الى المؤسسات الاجتماعية .[1]

بلغاريا:

3339 وقفا منها: 2356 مسجدا جامعا - 142 مدرسة – 273 جسرا – 16 خانة للمسافرين في مختلف المدن، والبقية عبارة عن أسبلة وحمامات ومكتبات. [2]

البوسنة والهرسك:

سميت فيها خمس مدن في العهد العثماني باسم الأوقاف وهي:

- مدينة غوريني وقف (وقف الأوقاف العليا)

- مدينة دونيتي وقف (وقف الأوقاف الصغرى)

- مدينة اسكندر وقف (وقف اسكندر)

- كولن وقف (وقف كولن)

- مدينة وقف: وتسمى حاليا سانسكي مورست.

وبعض المدن الحالية كانت بدورها تحمل في اسمها كلمة وقف مثل:مدينة مركونيتش غراد التي كان اسمها في السابق فارستار وقف، وسراييفو التي بنيت من أملاك الأوقاف ومنها أوقاف عيسى بك اسحاقوفيتش ، وأوقاف الغازي خسرو بك، فالأسواق المسقوفة في سراييفو والقناطر والجسور وشبكة المياه، وثلث المساكن كانت جميعها ملكا للاوقاف. [3]

---

[1] عيسى القدومي، م.س، ص.41.

[2] نفسه، نفس الصفحة.

[3] نفسه، ص.42.

وكانت الأوقاف في البوسنة والهرسك تقوم بدور الوزارات وتقدم الخدمات على أكمل وجه، سواء أوقاف العبادة أو أوقاف التربية والتعليم أو أوقاف المجالات الاجتماعية، أو الأوقاف المخصصة لإقامة الثغور والثكنات العسكرية وغيرها..

الجزائر العثمانية:

عرفت الإيالة الجزائرية في العهد العثماني (1519-1830م) توسعا كبيرا في الأوقاف حيث انتشرت في جل مناطق البلاد، وتذكر بعض الكتابات أن الأوقاف في الجزائر تضاعفت اثني عشر مرة سنة 1750م عما كانت عليه سنة 1600م،[1] حتى أصبحت الأوقاف الاسلامية تشكل نسبة 66% من مجموع الممتلكات الزراعية والعقارية، وشملت الدكاكين والفنادق وأفران الخبز والسواقي والصهاريج وأفران معالجة الجبس، وقد ساهمت الفتاوى كثيرا في تشجيع السكان على وقف ممتلكاتهم .[2]

والمتأمل لأرشيف الجزائر العثمانية المتعلق بالوقف يلاحظ مدى تنوع أصحاب الوقف، فكان منهم الرجال والنساء والعثمانيون والحضر والأحناف والمالكية. ومن أهم المؤسسات الوقفية التي كانت موجودة بالجزائر في العهد العثماني:

1- مؤسسة الحرمين الشريفين:

كانت أموال أوقاف الحرمين توجه الى فقراء مكة والمدينة في مطلع كل سنتين 3 عن طريق مبعوث شريف مكة أو بواسطة أمير ركب الحج، ولضمان وصول ما يبعث الى الحرمين الشريفين كان داي الجزائر يضع قوائم مفصلة لذلك وتختم عند عودة الحجيج بختم الحرمين ليتأكد الداي أنها وصلت فعلا كما هي .4 وقد نالت هذه المؤسسة أهم قسط من العقارات الموقوفة.

مؤسسة سبل الخيرات:

كانت تشمل أوقاف الأحناف، وكانت تتولى الانفاق على الزوايا والمدارس والفقراء والموظفين، قدر عدد أوقافها ب331 وقفا، وكانت هذه المؤسسة تحتل المرتبة الثانية بعد

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية والوقف والجباية- الفترة الحديثة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001، ص.190.

[2] غربي الغالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص.89.

3- ناصر الدين سعيدوني، م.س، ص.240

4-صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة، الجزائر، 2005، ص.56.

مؤسسة الحرمين الشريفين من حيث وفرة مداخيلها. وكانت تشرف خاصة على المساجد الحنفية ومنها: الجامع الجديد الذي بني سنة 1660م بأموالها، جامع السيدة الذي بني عام 1564م، جامع شعبان خوجة(1694م)، جامع كتشاوة(1694م) والذي تم توسيعه سنة1794م من قبل حسن باشا، وقد بلغ عدد المساجد الحنفية 14 مسجدا. [1]

مؤسسة أوقاف الجامع الكبير:

الجامع الأعظم الذي يعود تاريخه الى القرن 11م بدأ التحبيس به منذ سنة 1540م ليصل عدد أوقافع سنة 1600م الى 13 وقفا، ثم 33 وقفا سنة 1650م ثم 48 عام 1700م ثم 157 عام 1800م ثم 550 عند نهاية العهد العثماني بالجزائر، وكانت عائلة سعيد قدورة تتولى شؤون أوقاف الجامع الكبير لمدة طويلة.

المؤسسات الوقفية الخاصة: ومنها:

مؤسسة أوقاف بيت المال:

كانت تشرف على الأحباس وتتولى إعانة أبناء السبيل واليتامى والفقراء، وتتصرف في الغنائم التي تعود للدولة، وهذه المؤسسة كانت موجودة وتدعمت أكثر في العهد العثماني، وأصبحت تهتم بإقامة المرافق العامة من طرق وجسور وأماكن للعبادة من مساجد وزوايا، وتقوم بأعمال خيرية كدفن موتى فقراء المسلمين وتوزيع الصدقات على 100 فقير كل خميس، وكان يشرف عليها أمين يسمى البيت مالجي، يعين برفقته الداي قاضيا لمساعدته [2]

أوقاف الأولياء والأشراف:

الأولياء كانت تخصص لهم أوقاف من أجل الصيانة والإنفاق على أضرحتهم، وتكاثرت أوقافهم خاصة في مطلع القرن 19م، حيث أصبحت مدينة الجزائر وحدها تضم أملاكا موقوفة على 19 وليا في مقدمتها أوقاف سيدي عبد الرحمن الثعالبي (82 وقفا) كما كان للأشراف أوقاف خاصة، وكانوا يحظون بتقدير كبير من الحكام العثمانيين وقد أوقف عليهم محمد بكداش سنة 1709م زاوية خاصة بهم مع أحباس كثيرة لصالحها. [3]

---

[1] نصر الدين براهامي- علي تابليت، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات تالة، الجزائر، 2010، ص.113.

[2] أحمد مريوش وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص.57.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986، ص.ص.97-98.

مؤسسة أوقاف أهل الأندلس:

تتكون أوقاف هذه المؤسسة من صنفين:الأول أوقاف خاصة بالأندلسيين، وهي توجد بمدينة الجزائر وضواحيها، كانت تضم سنة 1810م 35 محلا تجاريان 18 دارا، و07 بساتين.

أما الثاني فيتعلق بالأوقاف التي يشترك فيها فقراء الأندلس مع الحرمين الشريفين أو مع عامة الناس وهي كثيرة أيضا منها 35 دكانا، 26 منزلا،مع عدد من المخازن [1].

أوقاف الجند والثكنات والمرافق العامة:

كثير من هذه الأوقاف كانت تنفق على المعوزين من الجند وصيانة الثكنات والحصون والأبراج إضافة إلى بعض المرافق الأخرى كالطرق والعيون والسواقي. [2]

هذه نبذة عن بعض الولايات العثمانية التي اتخذناها نماذج للأوقاف التي عرفت فيها ازدهارا وانتشارا كبيرا وأدى فيها الوقف دورا هاما في جميع المجالات، وذلك لايعني بأي حال اقتصار الوقف على هذه العينة.

[1] محمد البشير الهاشمي مغلي، التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي، مجلة المصادر، العدد 06، مارس 2002، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، ص.164.

[2] مصطفى بن حموش، الوقف وتنمية المدن – من التراث الى التحديث، ندوة الوقف الاسلامي ، ديسمبر 1997، جامعة الامارات العربية المتحدة، ص.06.

المحاضرة الثانية عشر (12)

علاقة الفئات الاجتماعية فيما بينها وبالسلطة

كانت الامبراطورية العثمانية تضم تحت سيادتها قوميات كثيرة وطوائف مختلفة، مما يوحي للوهلة الأولى أن إمكانية التعايش بين هذه القوميات تبدو مستحيلة في ظل التمايز الكبير بينها عرقيا ودينيا، ورغم ذلك استمرت في مجتمع واحد الى غاية ظهور بوادر التفكك مع حلول القرن التاسع عشر، فكيف كانت العلاقة بين كل فئات المجتمع العثماني من جهة، وبين هذه الفئات والسلطة العثمانية؟

أولا- العلاقة بين فئات المجتمع العثماني:

رغم ما أشرن اليه أعلاه من اختلافات جذرية بين مختلف الطوائف الممثلة للمجتمع العثماني الا أنها كانت تعيش في وئام وتعاون فيما بينها، ولم يكن التمييز بينها سوى من حيث الانتماء الديني، فالبوسني والألباني والتركي والعربي يسمن أنفسهم كلهم مسلمين، وينسب الآخرون الى ديانتهم كأن يكونوا مسيحيين أو يهود، دون أن يمس ذلك بحقوق الجميع وعلاقاتهم فيما بينهم. ومن مظاهر حسن العلاقات بين هذه الفئات:

1- حسن المعاملة بين المسلمين وغير المسلمين:

عاش المسلمون وبقية الفئات غير المسلمين في كنف التفاهم والتضامن وحسن المعاملة لمدة طيلة وذلك بشهادة غير المسلمين أنفسهم، حيث أورد في هذا المجال دونالد كواترت شهادة مسيحيين بلغار سنة 1908م عن حسن العلاقات بينهم وبين الأتراك ورد فيها: [1]

"كان الأتراك والبلغار يعيشون جنبا الى جنب وكانوا –أي الأتراك- جيرانا طيبين، كنا خلال الأعياد نتبادل الهدايا والزيارات. كنا نرسل لهم البيض الملون في عيد الفصح، وكانوا يرسلون لنا الحلوى (البقلاوة) في عيدي الفطر والأضحى. وكانت الزيارات المتبادلة شيئا مألوفا في الأعياد."

ومقارنة بين هذه الطوائف فالعلاقة بين المسلمين واليهود في الدولة العثمانية كانت أحسن حالا من العلاقة بين المسلمين والمسيحيين أو بين المسيحيين واليهود. [2] ولكن ذلك لا يعني أبدا وجود تنافر بينهم حيث كان اليهود والمسيحيون يشتركون في اتخاذ القرارات التي تخدم

[1] دونالد كواترت، الدولة العثمانية 1700-1922، تعريب أيمن الأرمانزي، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004، ص.309.
[2] نفسه، ص.300

مصالحهم، كما كانوا يشتركون في الوظائف التي يسمح لهم بشغلها، وكثيرا ما كانوا يشتغلون في مؤسسات مشتركة. [1]

2- العيش المشترك بين الطوائف داخل المدن:

كانت مختلف فئات المجتمع العثماني تعيش جنبا الى جنب في مختلف المدن العثمانية، ولم يكن هناك جهات خاصة لكل فئة بمعزل عن الأخرى فالأحياء اليهودية أو المسيحية كانت تقع ضمن بقية الأحياء التي يقطنها المسلمون، ولم يكن استقرار السكان في المدن ذا صبغة طائفية، بل حتى في الكثير من المدن كانت تعيش جماعات من المسلمين واليهود والمسيحيين معا في أحياء مشتركة كما هو الحال على سبيل المثال في حلب وأنقرة وغيرهما وتربطهم علاقات حسنة. [2]

3- تكوين نقابات عمالية مشتركة:

العديد من النقابات العمالية كانت مختلطة، تضم أفرادا مسلمين وغير مسلمين كما كان الحال في استانبول وسالونيك، ويورد كواترت في هذا المجال بعض الاحصائيات منها أن 50% من العمال والصناع في الدولة كانوا ينتمون الى منظمات نقابية أصل أفرادها من طوائف ديني مختلفة، والعلاقات بينهم جد حسنة ويسود بينهم التفاهم والتقدير المتبادل. [3]

وعلى العموم كأي مجتمع في بقية مناطق العالم كانت تسجل في بعض الحالات في المجتمع العثماني بعض المناوشات بين بعض الطوائف، ولكنها لم تصل الى حد استعمال العنف منها على سبيل المثال: - انشقاق جماعة من كنيسة الروم الأرثوذكس عن الكنيسة الرسمية بسبب مخالفتها لها في بعض المسائل المذهبية، وعمدت هذه الجماعة الى انشاء كنيسة خاصة بها في سنة 1701م. [4]

- ظهور بعض الخلافات بين الروم الأرثوذكس (ولا سيما الأرمن) والكاثوليك مما أدى الى انشقاقهم عن الكاثوليك سنة 1724م، [5] وهنا تدخلت الدولة للحفاظ على علاقات طيبة بين الطرفين رغم الانشقاق، وقد كان الأرثوذكس من أغنى الطوائف المسيحية لاشتغالهم بالتجارة.

---

[1] عبد القادر جبارين، موقف الدولة العثمانية من أهل الذمة في مطلع القرن 18م، ص.209. ضمن مجلة:

Hitit universitesi ilahiyat facultesi Dergisi, 2017/1c16,sayi 31,

[2] دوناد كواترت، م.س، ص.316.

[3] نفسه، ص.320.

[4] عبد القادر جبارين، م.س، ص.211.

[5] عبد القادر جبارين، م.س، ص.211.

-انقسام السريان وهم من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية سنة 1662م الى أرثوذكس وكاثوليك [1].

- عدم الانسجام بين اليهود السفارديم *و اليهود الأشكينازيم ** الذين لم يكن مرغوبا فيهم من السفارديم، ولم يقبلوا منهم الصلاة في كنسهم أو دفن موتاهم في مقابرهم. [2]

وعموما فقد بقيت العلاقات بين جميع طوائف المجتمع العثماني حسنة رغم سوء التفاهم بين أقليات غير مؤثرة على العلاقات العامة، ولم يسجل الصراع وبداية التوتر فيما بينها الا مع حلول القرن 19م لاسباب عديدة كان على رأسها التدخل المستمر للدول الكبرى في شؤون الدولة العثمانية، ونشر التفرقة بين هذه الطوائف لتحقيق أهداف استراتيجية تخدم هذه الدول.

وهذه الخلافات التي تسببت فيها الدول الكبرى آنذاك أدت الى صراعات خلفت أحقادا لاتزال تلقي بضلالها على العلاقات بين بعض الطوائف كما الحال بين الأتراك من جهة والارمن واليونانيين والأكراد من جهة أخرى.

ثانيا- العلاقات بين الفئات الاجتماعية والدولة العثمانية:

كانت الدولة العثمانية تعامل جميع الرعايا معاملة متساوية مهما كانت أديانهم ومذاهبهم.فالدولة العثمانية كانت تنظر الى مختلف الطوائف رغم اختلافاتها الدينية والعرقية على أنهم كلهم رعاياها، سواء كانوا في ولايات أوربية أو اسلامية، ومن مظاهر تسامح الدولة مع رعاياها:

1- في مجال اللغة الرسمية:

لم تفرض عليهم لغتها الرسمية كما فعل الاستعمار الغربي فيما بعد، وانحصر استعمالها في الدواوين الحكومية وكانت قليلة لا يتحدث بها إلا الاتراك العثمانيون فيما بينهم أو من

يقيم في المدن التركية ويعمل في مؤسسات الدولة، وغالبا ما كانت تترجم الفرمانات والأوامر السلطانية الى العربية أو اللغات الاخرى.

2- تنظيم شؤون الطوائف بما يضمن لها كامل حقوقها:

[1] عبد القادر جبارين، م.س، ص. 215.

* السفارديم: هم اليهود الذين هاجروا من اسبانيا بعد سقوط الأندلس عام 1492م، وكانوا يتكلمون لغة هي مزيج من الاسبانية والعبرية.

** ** الأشكينازيم: هم اليهود الذين هاجروا من شرقي اوربا ووسطها خاصة من ألمانيا ورومانيا.

[2] نفسه، ص. 216.

حاولت الدولة العثمانية مراعاة كامل حقوق الطوائف غير الاسلامية من خلال مؤسسات تنظم شؤون هذه الطوائف وتضمن هذه الحقوق دينيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وقانونيا ومن هذه المؤسسات:

أ- مؤسسة نظام الملة:

هو مؤسسة لتنظيم شؤون غير المسلمين في الدولة وهو يقضي بمنح كل ملة حق انتخاب رؤسائها الدينيين، وحق ممارسة شؤونهم الخاصة في التعليم والقضاء والضرائب تحت اشراف رؤسائهم، أما تعيين البطريرق فيكون بصدور البراءة السلطانية *[1] وتبعا لهذا النظام أصبح لهم محاكم خاصة، ومن أراد أن يلجأ الى المحاكم الاسلامية فله ذلك وكثيرا ما أنصفتهم هذه المحاكم الشرعية الاسلامية، والسلطان محمد الفاتح هو من جعل مؤسسة نظام الملة جزءا من بنية الدولة ووضع لها قواعد وأسس لم تكن موجودة في الدولة الاسلامية من قبل[2]

ب- مؤسسة الطوائف المهنية:

هي من إفرازات مؤسسة النظام الملي على المستوى الصناعي والحرفي، لها نظام يكاد يكون مطلقا، فالى جانب قواعد ممارسة المهنة وتحديد الأسعار فانها تختار النقباء والممثلين لدى السلطة العثمانية، فضلا عن إبلاغ الأوامر الصادرة عن السلطة وهي شبيهة الى حد ما بالنقابات المهنية الموجودة حاليا، ولو أنها قادرة على ضبط أفرادها أكثر من هذه الاخيرة. [3]

ج- مؤسسة العهود نامة:

هي مؤسسة تنظم الجوانب القانونية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية لاقامة غير المسلمين في الدولة العثمانية وذلك عن طريق العهود التي تبرم بين الدولة ودول هؤلاء

المستأمنين ويدخل هؤلاء ضمن الجاليات الأجنبية. [4]

وتبعا لهذه المؤسسات التي أوجدتها الدولة العثمانية لتحديد علاقاتها مع الطوائف المختلفة فانها أقرت لهذه الطوائف حقوقا وبالمقابل فرضت عليهم واجبات وهو ما سنعرضه في النقاط التالية:

---

[1] * البراءة السلطانية: ورد في معجم الرائد أن البراءة السلطانية هي رسالة أو شهادة كان السلطان العثماني يعطيها مندوبي الدول الأجنبية أو رؤساء الهيئات الدينية في الدولة كالبطريرق تثبيتا لهم في مناصبهم.ينظر: معجم الرائد، البند 14.

[2] عبد القادر جبارين، م.س، ص 204.

[3] Stanford Shaw and Ezel Shaw, history of ottoman Empire and modernTurkey, vol 1,New York, 1978, p.157.

[4] محمد علي بيود، وضع حقوق الأقليات في الدولة العثمانية، دراسة وثائق تاريخية نموذجية ، مجلة دراسات بيت المقدس ، العدد 16/2 ، شتاء 2016، ص.21.

أ-الحقوق:

كان لأهل الذمة حقوق كثيرة منها :- حق التعيين في الوظائف العامة، بينما الوظائف المتعلقة بشؤون الدين الاسلامي و الحاكمية مثل رئاسة الدولة وقيادة الجيش والولاية والصدور العظماء والقضاء الشرعي فهي من نصيب المسلمين.

- عضوية مجلس الشورى خاصة أيضا بالمسلمين .

- تمتع أهل الذمة بكل الحقوق الأخرى التي يتمتع بها المسلمون مثل حق التنقل-حق السكن في أي مكان باستثناء منطقة أيوب*[1] توقيرا لقبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أو دخول الحجاز، ولهم حق إظهار شرائعهم في معابدهم وخارجها باستثناء المناطق التي يسكنها المسلمون، مع جواز إنشاء مدارسهم وعقد اجتماعاتهم الدينية.[2]

وقد اعترفت الأقليات غير الاسلامية في الدولة العثمانية بأن وضعها كان أحسن بكثير مما هي عليه أوضاع غيرهم في بقية المناطق، وهنا يورد لنا كواترت شهادة صريحة لليهود الذين كانوا تحت سيادة العثمانيين، ضمن التقرير السنوي لأوضاع اليهود في تركيا والذي نشر في مجلة (Bulletin de l'alliance Israelite universelle) سنة 1893م ورد فيه: " يتمتع اليهود في تركيا بقدر من المساواة قل نظيره حتى في أكثر البلاد حضارة ورقيا. إن جلالة السلطان وحكومة الباب العالي ينتهجان سياسة بالغة التسامح تجاه اليهود "[3]

ب – الواجبات:

- الخدمة العسكرية:

كانت خاصة بالمسلمين باعتبارهم المعنيين أكثر بالجهاد والدفاع عن حدود الخلافة، ولكن ذلك لم يمنع من مشاركة بعض الأفراد من غير المسلمين في الدفاع عن الدولة، وبعد

[1] * منطقة أيوب: تقع في استانبول وتمتد من القرن الذهبي الى شاطئ البحر الاسود، وفيها دفن الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري الذي كان أول من استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، ولما جهز معاوية جيشا لفتح القسطنطنية بقيادة ابنه زيد سنة668م شارك أبو أيوب الأنصاري في هذه الغزوة رغم كبر سنه حيث كان عمره 98 سنة، واشتد عليه المرض عند أسوار القسطنطنية ومات هناك وكان قد طلب دفنه قرب أسوارها في المكان الذي يوجد به ضريحه الآن.والأتراك يولون أهمية بالغة للضريح، حتى أن السلاطين الذين جاؤوا بعد محمد الفاتح تم تقليدهم سيف السلطنة عند ضريحه هذا وهو ما يفسر منع أقامة الذميين في هذه المنطقة.

[2] محمد علي بيود، م.س، ص.22.

[3] دونالد كواترت، م.س، ص.300

صدور قانون 1856م الذي ألزم المسيحيين العثمانيين بالخدمة في الجيش سمح لهم بالبدل النقدي لقاء إعفائهم. [1]

الجزية:

كانت تفرض على أهل الذمة ويعادلها الاعفاء من الخدمة العسكرية، وهي تسقط عمن يؤدي خدمات للدولة كالأطباء و لا يؤديها أيضا القساوسة ورجال الدين غير المسلمين والعاجزون عن حمل السلاح كالأطفال والنساء والعجزة وكبار السن، والمشاركون في الدفاع عن الدولة، وكان ذلك من المبادئ العالية للدولة العثمانية تجاه رعاياها. [2]

فرض بعض القيود على أهل الذمة ومنها: [3]

- الامتناع عن التصرفات المسيئة للمسلمين مثل بيع الخمور والخنزير في مدن المسلمين ولا بأس من بيعها في مدنهم.

- منع قرع أجراس الكنائس بصوت مرتفع.

- منعهم من ركوب الخيل والحمير.

- عدم اقتناء الاسلحة وحملها.

- ارتداء الزي الاسود والأزرق ومنعهم من ارتداء الزي الابيض .

- منعهم من دفن موتاهم في مقابر المسلمين.

- منعهم من ارتداء العمائم ومن دخول حمامات المسلمين سواء الرجال أو النساء.

- منعهم من اقتناء الجواري.

وأضافت بالنسبة لليهود بعض القيود منها:

- منعهم من انشاء معابد جديدة.

- عدم قبول شهادتهم في المحكمة الشرعية.

- عدم توظيفهم في وظائف حكومية رفيعة.

- حددت مدة زيارتهم للقدس بشهر واحد لمنع الهجرة اليهودية اليها. [1]

---

[1] نفسه، ص.311.3- عبد القادر جبارين، م.س، ص 22.-ينظر أيضا مقال موسوم: التهاون مع الاقليات وأثرها في تفتيت الدول- الدولة العثمانية أنموذجا-مجلة البيان- المنتدى الاسلامي.

[2] مجلة البيان، م.س

[3] عبد القادر جبارين، م.س، ص.207.

الصراع مع الطوائف العثمانية خلال القرن 19م وبداية القرن 20:

ما أن حل القرن 19 حتى كان الضعف قد استشرى في كيان الدولة العثمانية مما شجع على بروز الأحقاد الدفينة لبعض الأقليات والطوائف تساعدهم في ذلك الأيادي الاجنبية المتربصة بالدولة العثمانية ليبلغ هذا الصراع مداه مع بداية القرن 20م وأفضى في النهاية الى تفكيك الامبراطورية التي عمرت ستة قرون كاملة، وكان وراء هذا الصراع مع هذه الطوائف عدة عوامل منها:

1- دور الشركات والمؤسسات الاجنبية العاملة في الدولة العثمانية والتي شملت أنشطتها البنوك والسكك الحديدية والمرافئ ومصانع النسيج والاغذية. هذه الشركات كانت توظف أكثر من 13 ألف عامل وتختارهم من المسيحيين وتمنحهم امتيازات كبيرة وتعطيهم درجة أرفع من المسلمين، حتى يكونوا مستقبلا في خدمة أهداف دولها.

2- تنامي المشاعر القومية : فمنذ القرن 19م أصبح الانتماء القومي أهم من الانتماء المذهبي، وأصبحت كل قومية من القوميات ترغب في الانفصال عن باقي القوميات وتسعى الى إثارة الاضطرابات داخل الدولة، وقد أفضت فعلا الى انفصال العديد من القوميات مثل اليونانيين عام 1833م، ثم صربيا بعد بضع سنوات ثم بلغاريا ورومانيا. وبدا القوميون يسعون لاستئصال اللغات الدخيلة كمحاربة اللغة التركية التي كان يتخاطب بها الكثير من اليونانيين العثمانيين، وكانت هذه الحركات القومية تشجع من الدول الكبرى كفرنسا وروسيا وبريطانيا والنمسا لتفكيك الامبراطورية وتحويل الدول التي تنفصل عنها الى مناطق نفوذ.[2]

وبعد الحرب العالمية الأولى تدعمت الحركات القومية بظهور القومية العربية والقومية الكردية والقومية التركية (الطورانية)، وقد عملت فرنسا وبريطانيا على إذكاء نار الكراهية والحقد للحكم العثماني، وعجل ذلك بدوره في خروج بلدان المشرق العربي عن السيادة العثمانية ليسقطوا تحت مخالب الحماية البريطانية والفرنسية وضياع فلسطين التي بدأ تهويدها بموجب وعد بلفور المشؤوم.

ورغم كل المحاولات للحفاظ على كيانها وما تبقى لها من ممتلكات إلا أنها تفككت نهائيا وزالت كامبراطورية وظهرت بدلها دولة تركيا الحديثة منذ اعلان الجمهورية في 29 أكتوبر 1923م.

---

[1] بكر عبد الوهاب، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية المريسكية، 1988، ص.ص. 151-152.

[2] دونالد كواترت، م.س، ص.331.

قائمة المراجع المعتمدة:

المراجع العربية:

1- أوغلي أكمل الدين أحسان، الدولة العثمانية-تاريخ وحضارة، المجلد 1، مركز أبحاث التاريخ، استانبول، 1999.

2- ايناجيك خليل، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية 1300-1600، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2007.

3-أوزتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، تع. عدنان محمود سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، 1988.

4-أورتايلي ألبر، إعادة استكشاف العثمانيين، ط1، الدار العربية للعلوم، استانبول، 2012.

5- الأقسكي علي همت، العاهل العثماني أبو الفتوح السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطنية وحياته العدلية، محمد سامي الخانجي، القاهرة، 1953.

6- براهامي نصر الدين، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات تالة، الجزائر، 2010.

7-باشي أحمد بن لطف الله منجم، جامع الدول – التاريخ العثماني 1299- 1481، تح.وتع. أحمد أعير، أقجة يالري، استانبول، د.ت.

8- ابن حسن عبد الله بن احمد، المنهاج في بيان أحكام العشر والخراج، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012.

9- الخضر كمال محمد جاه، مدينة استانبول في كتابات الرحال الافريقي العربي ابن بطوطة. د د ط /د ت.

10-دوكالي رشيد، مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني، تر.لطيفة بورلية وشفيقة عيساني، موفم، الجزائر، 2013.

11- دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، م.و.ك، الجزائر، 1989.

12- سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية والوقف والجباية- الفترة الحديثة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001.

13-.....، دراسات في الملكية العقارية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1986.

14-السيد محمود سيد محمد، تاريخ الدولة العثمانية-النشاة والازدهار، وفق المصادر العثمانية والدراسات التركية الحديثة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007.

15- سيد رضوان علي، السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الاسلامي في أوربا الشرقية، الدار السعودية للنشرن الرياض، 1982.

16-عباد صالحن الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة، الجزائر، 2005.

17- العياشي أبو سالم، الرحلة العياشية 1661-1663، تح. سعد الفاضلي، ج1، دار السويدي للنسر، أبو ظبي.

18- الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288- 1916، د.م.ج، الجزائر، 2007.

19- فاروقي ثريا، موضوعات السلطان: الثقافة والحياة اليومية في الدولة العثمانية، توريس، لندن، 2005.

20- القزويني علي الكاتبي، جوامع اللذة، تر.وتح.عبد البديع مصطفى عبد البديع، تالة للطباعة والنشر، ليبيا، 2002.

21- مؤنس حسين، تاريخ الاسلام، ط1، الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، 1987.

22- مريوش أحمد وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

23- عبد الوهاب بكر، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموريسكية، 1988.

المراجع المعربة:

24- أو.هاينسترايت، رحلة العالم الألماني أو.هاينسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس 1732، تر.وتح.وتع. ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2007.

25-برنارد لويس، استانبول وحضارة الخلافة الاسلامية، تع.سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر، الرياض.

26- رين لويس، إعادة النظر في الاستشراق، المرأة والسياحة والحريم العثماني، توريس،لندن، 2004.

27- سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تر.عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

28- شالر وليم، مذكرات وليم شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تر.وتح. وتق. اسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.

29- كواترت دونالد، الدولة العثمانية 1700-1922، تر. أيمن الأرمانزي، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004.

30- هزارفن حسين، تلخيص البيان في قوانين آل عثمان، غالاند أنطوان للنشر، استانبول، 1686.

المجلات العربية:

31- بيود محمد علي، وضع حقوق الأقليات في الدولة العثمانية- دراسة وثائق تاريخية نموذجية، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد 16/2، 2016.

32- بكر منذر وقاسم العبيدي، استانبول ألق الماضي..عبق وجمال الحاضر..وإشراقة المستقبل، مجلة فيلادلفيا الثقافية، جامعة عمان، العدد 08، 2011.

33- جبارين عبد القادر، موقف الدولة العثمانية من أهل الذمة في مطلع القرن 18م، مجلة: Hitit universitesi ilahiyat, Dergisi, 2017/1c16, say 31.

34- بن حموش مصطفى، الوقف وتنمية المدن- من التراث الى التحديث، ندوة الوقف الاسلامي (مطبوع)، ديسمبر 1997، جامعة الامارات العربية المتحدة.

35- دهان سليمان، تنظيم ركب الحج خلال العهد العثماني بين تلبية المقدس والتواصل الحضاري، مجلة أفكار وآفاق، العدد 09، 2017.

36- سامعي اسماعيل، الاحتفال بالمولد النبوي، جريدة النصر، الجزائر، 2018/11/2.

37- طاهر أميرة، مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي في الدولة العثمانية، جريدة أخبار مصر، القاهرة، 2017.

38- عامر محمود، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118،جامعة دمشق، 2012.

39-عدنان عبد الرزاق، تركيا تستعيد طقوس رمضان العثمانية، مجلة العربي الجديد، لندن، العدد 1379، 2018.

40-القدومي عيسى، الوقف وسيرة الحياة-الخلافة العثمانية نموذجا، مجلة الفرقان الكويتية، العدد 657، 2011.

41- مغلي محمد البشير الهاشمي، التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي، مجلة المصادر، العدد 06، 2002، م.و.د.ب.ح.
و.ث.1954/11/1، الجزائر.

المراجع باللغة الاجنبية:

42-Haedo,topographie et histoire générale d'Alger, traduit de l'espagnol par Monnerau et Berbrugger, imp. Valladolid, 1870.

المجلات باللغة الأجنبية:

43- Barkan o.l, essai sur les données statistiques des registres de recensement dans l'Empire ottoman aux 15 et 16ème siècle, in : Journal of the economic and social history of the Orient (Jesho), 1957.

44- Barkey Kaven, Ottoman regional elites; divided but loyal, in: Bandits and bureaucrats,Cornell,university press, 1994.

45-Boyer Pierre, l'administration française et la réglementation du pèlerinage à la Mecque 1830-1894, Revue d'histoire maghrébine, 1997.

46-Stanford Shaw, history of the Ottoman Empire and modern Turkey, vol.1, N.Y. 1978.

47- Wallerstein I.H, the incorporation of the Ottoman Empire into the world economy, in: Huri Islamoglulane, ed. Cambridge, U.K.